سايكوباث

إبراهيم علي خميس

سايكوباث
ابراهيم علي خميس
تدقيق لغوي : أحمد عبدالله
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع:٢٠١٧/٢٨١٦
ترقيم دولي: 278-977-6594-9-5

دار فصلة للنشر و التوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠٠٢٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
www.fasla.org

مدير عام : عمر الحضري - مدير النشر : محمود محي الدين

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٧

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

سايكوباث

إبراهيم علي خميس

دار فصلة للنشر و التوزيع

إهداء

إلي أولئك الذين إتخذوا آمالاً هزؤا و سخروا من قيمتها
قبل الذين ساهموا بتحقيقها
و لأولئك الذين طغوا علي الحق بالحلم
قبل الذين أيدوه دون إنقاصٍ منه
لأولئك الذين أفسدوا يوماً أُفق مبدعٍ بحطهم منه
قبل الذين آمنوا به وقت أن كفر هو بنفسه
لأولئك الذين تربطنا بهم صلات أكبر من صِلات الدم ، أم و أب و إخوة و أخوات.
و لأولئك الذين عرفناهم للحظات فغابوا عنا و تركوا أثر دهور
لمصطفي متولي ، عز الدين وهمان ، مصطفي مجدي
أهديكم روايتي الأولي
لولاكم - بعد توفيق الله - ما كان ذلك ليحدث ..

صراخ .. أثار تعذيب .. مُغتَصَبون و مُغتصِبين
بقايا بشر
من يتمنون الموت للفرار من بؤس حياتهم ولا ينالوه
من يشتاقون لرؤية ملك الموت أكثر من إشتياقهم مواصلة شهواتهم مرة أخري
يحلمون بحساب ربهم -ولو كان جزائهم جهنم - لأنه
سيفي -مؤقتاً- بالغرض ، سيحميهم من بطش من يظنون أنهم يفرقون عن ذرية إبليس بشيء
تراقب ذويهم و هم يتضرعون آلماً لما يلاقونه
لا تعرف أتختلق الأعذار لنفسك لشللك التام علي عدم مساعدتهم
أم تسير مع التيار بحجة - البقاء للأظلم -
أمن المعقول أن يكون هذا طبيعة عمل أحدهم ؟
بالفعل .. إنه أنا !
يومياً واجب عليّ أن أُعذب هذا و أمُر مُساعدي بإذاقة ذاك
جمال الكهرُباء
هذا و إلا فسأُعتبر من أصحاب الأيادي المرتعشة
لعنة الله علي مُخترع الروتين ذاك
ألا يمكن أن أخُذ عطلة أبدية كتلك التي نعطيها لأحدهم حينما لا يفعل ما نُرِيد ؟!
و بما إنه لا يمكن .. إذاً لابد من الإلتقاء بشخص يصنف بأنه من أكثر الكائنات

ثُقلاً للدم علي مستوي المجرة
في التقييم الأخير لمجلة -National Geographic-
حاولت مراراً تجاهله ولكنه غالباً لم يفهم
كرر كلمة إياد أكثر من تكرار جماهير أحد النواد كلمة - قادمون - !!
- يا إياد باشا ؟ بنادي عليك من بدري ما بتردش ليه ؟
لم أحرك رأسي له .. فقط أدرت عيناي يساراً إليه :
- الخدمة في الشمس و الحر دول يخلوا أي حد مش مركز في أي حاجة
قالها بثقة :
- كلنا في الأول كده تعبنا زيك بس فترة و هتتعود
عدلت من وضع جسدي حتي يكن كُلُه بإتجاهه :
- أنا بس إللي عايز أفهمه ، ليه جلال باشا ينزلنا خدمة علي الجامعة ؟
لم تتغير ثقته تلك بل زادت حد الغرور :
- إنت لسه مُستجد و بيحاول يخفف عليك في الأول
حرس الجامعة ده ناس كتير تتمناه ، بتبقي قاعد ملك ، سلطان زمانك
و لما يبقي يحصل أي حاجة .. معاك سلاح !
أثناء حديثه لم أنتبه له كثيراً ، فقط التظاهر بسماعه حتي لا يحدثني عن أنني مستمع سيئ و يشرح لي مساوئ ذلك
في وسط حديثه لاحظت أمر مريب .. فتاة تكاد تتفوق علي الفهد في سرعته
لا تمشي سريعاً .. هو أقرب ما يكون للجري
خلفها مباشرة شاب يلاحقها بعيناه و يداه قبل كامل أطراف جسده
أراها من بعيد ، لكن قلبي يخفق سريعاً معها
مثلها !
لم أدرك شيئاً إلا و أنا أمسك باللزج هذا و أراجع كافة فنون القتال التي تعلمناها أثناء دراستنا
أحسست بيد علي كتفي
نظرت فإذ به حسام يجذبني نحوه

- إياد ؟ في إيه ؟
بحدة بعد أن جذبته من ملابسه :
- إبن الكلاب ده كان بيتحرش بيها
عاد خطوتين للخلف حتي وصل لكرسيه جالساً عليه :
تحرش إيه بس إحنا في إيه ولا في إيه ؟
سيبك من التفاهة دي ، هي إللي جابته لنفسها ، إنت مش شايف لبسها ؟!
لم أنتبه لكلامه و قررت التعامل كإنسان قبل أن أكون مُكلَف بأي شيء
قررت رفع عيني لأري الضحية هذه
كانت أقرب ما يكون من الحديث الشريف
- ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر - ، فهي الجنة !
كان كل من يراها يظل لفترة محدقاً ، لا يحرك ساكناً كأنه رأي إحدي حوريات الجنة !
لونها أقرب للون ثوب الإحرام
عيناها الواسعتان و اللتان يمتزج فيهما بياض العين بسواد حدقتها
بروعة تطغي علي جمال إحتضان البحر للشمس وقت الغروب !
رموشها .. يقفان كحراس عمالقة - من هول طولهم - علي جوهرتين
خدودها من شدة إحمرارهما يبدوان و أنهم أكياس دم
شعرها البني
الذي يداعب - من طوله - منتصف ظهرها
يجزم من يراه أنه قطعة من حرير و ليس شيء ما يكسو رأس إحدي بنات حواء
كانت من جمال النمش علي وجهها كأنها تاج مرصع بالماس
قوامها صاحب النصيب الأكبر من النظرات فلو كان هنالك مسابقة لصاحبة أجمل قوام
و أكثر عدد من النظرات و التغزل - شفهياً كان أم وصل للتحرش البدني - لكانت صاحبة الرقم القياسي
بفارق عن أقرب منافسيها يساوي الفارق بين جناحي جبريل عليه السلام !

ثناياتها .. إرتفاعاً و إنخفاضاً تكاد تُذهب العقل
لا يمثل أخصائيوا السمنة أو النحافة أي أهمية تذكر لديها
فـ غزال الريم - من إنسيابية بدنها - يغار منها
تفحصتها جيداً .. كأني مفتش في أحد المطارات يتفحص حقيبة أحد المشتبة بهم
حاولت ألا أمارس التحرش النظري معها ، لم أجد لذلك سبيلاً
محاولاً ألا أكون كمن قُبض عليه حالاً
في سبيل ذلك بدأت في الكلام معها :
- بعد إذنك هتيجي معانا عشان نعمله محضر
قبل أن ترد عليّ ، لمحت عيناها لم ترتفع من علي الأرض خوف و خجلاً :
- لا لا ، محضر إيه
شكراً
جدياً لا أعلم لما كل هذا الخوف ؟ من الضحية ؟ من الجاني ؟
مجتمع تبدلت به الأدوار .. نحترم الجاني و نرفع عنه الضرر و نصلب الضحية
علي صليب ذا أربع أركان
العادات
التقاليد
رأي الأخرون
و شماتة مجمتعاً يلهث خلف الفضائح
قالتها و إبتعدت مسرعة كما رأيتها في البداية
إذن لم يعد لي أي شيء مُسَلي سوي ذاك المتطور – حسب نظرية دارون - في جلد و ملامح بشر
جعلته ينتظر و هو مُقَيد بجانبي إلي أن إنتهت مُدتي و إنتقلت به للقسم
هناك .. عاد حسام ليخلق سبب أخر لكرهي له
- إنت هتفضل قالبلنا وشك كده كتير ؟
- معلش يافندم .. الواد بتاع قضية التحرش ده شاغلي دماغي خالص
إبتسم إبتسامة الصفراء المعهودة تلك :

- تحرش إيه يا عم بس ؟ دي بنات عايزة الحرق أصلاً ، سيب العيال إللي زي دي خليهم يربوهم شوية
نظرت له كنظراتي لمن أحتجزته منذ قليل ، ففي رأيي الإثنان لا يختلفان عن بعضهما البعض
- إيه يا إياد .. ساكت ليه ؟
صمتُّ للحظات قبل أن أجد رداً مناسباً علي هذا الكائن :
- إزاي يعني أسيب العيال دي ؟
يافندم إحنا عندنا إخوات ، لو سيبت العيال دي مش ممكن يربوا أخواتنا معاهم ؟
- إنت هتقارن إخواتنا بشوية الأوساخ دول ؟
- أوساخ !!
تذكرت حديث شريف عن سيدُ البرية صلي الله عليه و سلم
- ما أكرمهن إلا كريم ، و ما أهانهن إلا لئيم -
لكني لم أحاول ذكره في وقتها حتي لا أكون في اليوم التالي في نفس الموعد أجالسُ أختي بعد إقالتي -
عدت له متسائلاً بصوت ساخر :
ممكن أسألك سؤال .. حكمت إنهم أوساخ إزاي ؟
نظر لي ساخراً متحدثاً بثقة :
- إللي تلبس بنـــ...
قاطعته بإشمئزاز :
- بعد إذنك .. متكملش
لو حضرتك تسمحلي ، بس مش دايماً المظهر إللي برا بيوضح كل حاجة
- حدثتُ نفسي .. تخفف عقوبة من يقتل زوجته الزانية دفاعاً عن شرفة
تخفف عقوبة من يثبت إنه يتعاطي المُخدرات ولا يتاجر بها
فهل تخفف عقوبتي إذا قتلت شخصاً تكرهه علي الأقل ملابسه ؟ -
عاد ليثبت لي مجدداً النظرية التي تنادي بإن بعض البشر يعود أصلهم للقرده

– - مع الإعتذار لهم و لعقلهم
- إيه يا عم إياد .. مالك قافش كده و مش طايق لنا كلمة من ساعة ما مسكت الواد ده ؟
أخذت رئتاي قدر من الهواء قبل أن ألفظه من أنفي :
- ممكن أسأل حضرتك سؤال ؟
تعالي نمشي انا و إنت في أي مكان زحمة و أسمعك كلام يسم بدنك
ولو سِكت و هتسكت عشان محدش يقول عليك مجنون و يتهموك بأي حاجة أبتدي ألمس جسمك
أسرق منك كرامتك و إحساسك
لو بعد كل ده حضرتك مصعبتش عليك نفسك ممكن تفرغ طبنجتك فيا
ما بالك بالبنت بقي ؟ و بعد كل ده تقولي أسيبه ؟
لو مخلتوش يحس نفس إحساس البنت اللي اتحرش بيها ابقي ماستهلش الكتافات دي
نظر لي في تحدي بعد ان اتسعت عيناه و ارتفع مستوي صوته :
- مش إنت مش عاجبك شغلنا و شايفنا بنعذب و بنضرب ؟ يبقي هتعمل معاه إيه بقي ؟
اقتربت منه :
- يا حسام باشا ؟ هو مش إعترف ؟ يبقي هضربه ليه ؟ أنا قصدي أخليه تصعب عليه نفسه
لما يجيلي و لبسه كله من ماركات و بعدها بكام يوم يبقي لابس لبس الحبس و محطوط في إيده الحديد
ساعتها بس هتصعب عليه نفسه ! شوفت بقي حضرتك ؟ من غير ما أمد إيدي علي خلق الله أهو
عاد ليريح ظهره علي ظهر الكرسي و هدأ قليلاً :
- ماشي يا حضرة الملازم ، عموماً أنا حبيت أعرفك إن في ناس كتير ماينفعش معاها الإسلوب ده

و إتفضل بقي علي مكتب جلال باشا عشان كان عاوزك
بعد أداء التحية المُعتادة لمن هو أعلي مني في السُلَم الوظيفي
تحركت مُسرعاً لمكتب جلال فؤاد - مأمور القسم - من بيده كل شيء
حركات عينيه تهتز لها أبدان
لا يصعد أحداً إلا مكتبه لأمران .. إما للجزاء و الفصل و إما للإبلاغ عن ترقية أو لمنح مكافأة مادية
كانت أم معنوية
بنائه الضخم ساعد علي ترسيخ تلك المعتقدات برأس الكثير منا هنا
شعره القصير – إنضباطاً – جسده الممشوق رغم كِبر عمره ، بشرة مصرية خمرية أصيلة
عضلات مفتولة ، ملامح حادة ، يهاب أقوي فتوات الحرافيش النظر لها
كفاً كبيراً و أصابع صغيرة
تؤلم حقاً حينما تلامس وجه أحدهم
كل ذلك جعل من هيبته كهيبة دولة إستعمارية من دول في القرن العشرون
أمام باب مكتبه .. أشعر بدقات قلبي المتسارعة - قلقاً - في حلقي
للحظات لا تقتدر يداي علي قرع زانه
يا تُري هل إستطاع الرائد حسام أن يبلغه بتلك السرعة ؟
هل عرف الوجه القبيح للأجهزة اللاسلكية في الإبلاغ عني لرفضي أساليبهم ؟
هل تلك أخر أيامي في إدارتي قبل أن أنتقل لأخري كإسلوب للتهذيب و الإصلاح ؟
قبل أن يفرض عليّ عقلي أية أسئلة أخري قررت الدخول
قرعت الباب
بصوته الخشن :
- أدخل !
وقفت أمامه كزوج يقف أمام زوجته بعد أن غفل عن عيد قتل كل شيء فيهما
حنيت يدي و قدمي اليمنتان ليلامسا رأسي و الأرض في وقت واحد أداءً لتحيته :

- تمام يا فندم
أخفض صوته عن المرة الأولي :
- إقعد يا إياد
صوته لا يدل حتي الآن علي أي شيء سلبي ..
- تعليمات سيادتك ؟
قالها مبتسماً :
- أهو حماسك و حبك لشغلك ده إللي هيخليك تترقي و تمسك حاجه كبيره في وقت قصير
- شرف ليا إن الكلام ده يكون من حضرتك يافندم
ترك كرسيه و بدأ في إستعمال قدماه للتجول في مكتبه حتي وصل إليّ واضعاً يده علي كَتفي
- إيه إللي حصل بينك و بين حسام ؟
الآن عُدت لحالتي السابقة التي كنت عليها قبل أن يسمح لي بالدخول :
- سوء تفاهم بس يافندم
كنا واقفين زي كل يوم مع الحرس عشان تأمين الجامعة
خدت بالي من إن في واحد إتحرش بواحده .. روحت مسكته و فضلت مكتفه جنبي
لحد ما جه معاد راحة القوات و خدته و جيت بيه هنا علي القسم
عاد ليجلس علي كرسي يقابلني :
- و إيه المشكلة في كده ؟
ترددت كثيراً قبل أن أنطق بحرف واحد ، فلا يجوز في أوطاننا ذلك
مخطئ من كان يري أن الصواب – علي هذا الكوكب - في توجيه اللوم أو الشكوي
البشرية جمعاء في إنحدار و إنهيار ، لن يفيد بشيء اللوم
إما أن تأخذ حقك لحظياً بدم من يقابلك و إما أن تصمت ولا تلم حتي يأتيك تحت قدميك بحوالة بريدية تحت إمضاء الدَينْ

أخطأت حينما لم أنتزع حقوق تلك الفتاة من دمائه وقتها ، الآن الندم الأكبر عندما قررت توجيه اللوم
- حسام باشا مكنش موافق علي ده ..
شايف إننا نازلين لمأمورية معينة و ماينفعش
نحمي أو نأمن أي حاجة تانية حتي لو كانت غلط
تحرك للأمام قليلاً ثانياً ظهره :
- إنت صح بس حماسك ده ممكن يخليك تخسر حاجات كتير في شغلك
حسام أقدم منك و فاهم إيه إللي يخليه يترقي بسرعة و إيه إللي يخليه يفضل محلك سيرك
بعد أن شعرت بالإشمئزاز من كلاهما ، نظرت له بنظرة ساخرة :
- يعني عشان أترقي .. أسيبها تواجه جهل و تخلف ؟
- إنت مش بتقول إنك لما حققتوا معاه طلع طالب جامعي ؟
يبقي إزاي جاهل و متخلف ؟
يافندم .. حسام باشا رائد أهو و تقريباً إنت فهمت أنا هقول إيه
نهض تاركاً كرسيه و عاد ليجلس أمامي :
- بص يا إياد ..
إحنا مش عايزين مشاكل دلوقتي
و في الأخر إنت عملت إللي إنت عايزه
خلاص !
خلينا في المهم
- تحت أمرك
من كام يوم في رجل أعمال كبير جداً جاله تهديد بخطف بنته و قتلها
و إللي هددوهم مقالوش مطالبهم إيه حتي
الموضوع وصل لسيادة الوزير شخصياً و من قبله اللواء محمود فهمي مساعد الوزير للأمن العام و كانوا طلبوا ملفات الظباط الشباب
يعني .. شايفينهم أحسن ناس للقضية دي

إتطلب مني بما إننا أقرب قسم للفيلا بترشيح أسامي
عاد للكرسي الأساسي أمام مكتبه .. أخرج حافظة تضم عدداً من الملفات
ثم أخرج ملف به تقرير كامل عني
وضعة أمامي ثم عاد ليريح ظهره علي كرسيه :
حسام قديم في القسم و معروف عنه ذكائه ، عرف بالأمر و رشحلي أسماء و كنت إنت أول إسم
و عشان أعرف عنك حبك لشغلك و إلتزامك وافقت علي إنك المسئول التاني في المهمة .. بعد حسام
إلتفت له بعد أن ضممت أصابع يدي الأولي من جهة اليمين في إشارة له للإنتظار :
- بس !
- إيه يا حضرة الظابط ؟ هترفض الأمر ؟
هززت رأسي يساراً و يميناً لرفض ما أشار له عقله به :
- العفو يا فندم ، بس في ناس كتير أحسن مني و رتبتهم كمان أعلي مني إشمعني أنا ؟
- يا سيدي ورقك راح للوزير و وافق خلاص ، هو أكتر واحد عارف بيختار إزاي ؟ و بعدين هو مين يقدر لوزير لأ !
مش كبيرة عليك يا إياد ، كفاية إنك مترشح من حسام ، ده من عباقرة الوزارة
وسط ذاك السيل من الإصرار لم أجد سبيلا للرفض فنطق لساني يائساً :
- تمام يا فندم
أمسك هاتفه واضعاً إياه علي أذناه ثم عاد ليبعده ليخبرني بما لا كنت أتمناه :
- تقدر تمشي دلوقتي ، من بكره الصبح هتستلم مكان الرائد حسام
كل واحد فيكم مسئول ١٢ ساعة و عشان مابقاش بديك حمل تقيل عليك
قررت إنك تبقي المسئول عن فتره النهار و حسام مسئول بالليل
لا أعرف أتزوج الحظ بأبي بعد وفاة أمي فكان لي زوجة أباً تكرهني و توظف نفسها ضدي ؟

لماذا علي أن يقع لي في كل خُطوة ذاك الحسام ؟
و علي طريقة - بدل من أن تلعن الظلام .. أقد شمعة -
لابد أن أعتاد علي الموقف الحالي .. لأنه و في الغالب سيستمر طويلاً !!
بدلاً من أن أفكر في عيوب و مصائب - هذا الكائن - التي لا تعد ولا تحصي
في الطريق للبيت كان كل ما يشغل بالي أمران كيفية التعود علي التعامل مع زميلي هذا
و من هو رجل الأعمال ذاك الذي طلب حماية ؟ لابد أنه من ذوي النفوذ لكي تحقق
مطالبه في التو و اللحظة
أم أنه أحد أقرباء ممن يصنفون - مجازاً- أنهم من حيتان الأمة
أسئلة متعددة
أوجاع -بدنية- أكثر تعدداً تطغي علي تلك الأسئلة و تجعل تأجيلها أمراً واجباً
أمام باب البيت كعادتي كل يوم
أري إسم والدي رحمه الله محفور في قطعة من الزان بجوار الباب
- منزل : اللواء شريف خطاب-
أري إسمه فلا أدرك شيئا إلا و لساني يلامس أسناني في حرف النون من كلمة أمين ختاماً للفاتحة
ألمت الباب من كثره نقري عليه قبل أن تفتح لي
إيمان !
شقيقتي
من تركها لي والداي قبل مفارقتنا
لا أدري كيف ستكون الحياة دونها
لكني مُتيقن من أن العيش في مصانع تدوير القمامة بروائحها الكريهة سيكون أهون عليّ من ذاك الإحساس
بعيداً عن دراستها
يكفيها الإهتمام بشخص عازب فوضوي عابث مهمل مثلي

حمداً لله علي أنها لم تصاب بداء السُكري و تغير ضغط الدم - إرتفاعاً أو إنخفاضاً - بسبب إهتمامها بي
لعلي الآن أُدرك أن الجنة تحت أقدام الأخوات
يعاقبه ربه من لم يخلق له من دمائه أختاً !
بعد أن رحمت الباب من عذابي له :
بصوت حنون يرافقه عتاباً علي تركي لها وحيداً :
- حمدالله علي السلامة يا أستاذ
- الله يسلمك
إقتربت قليلاً ناظرة في عيني ، تلك النظرة التي لم أقدر علي الكذب عليها لطالما كانت هي المُصلح و المُصحح لكل شيء في حياتي ، خاصة بعد أن كان والداي – رحمهما الله – لا يعرفان ضرر تلبية كل شيء لطفل
تلك النظرة و هذه الناظرة هما من يعرفاني حق المعرفة
وضعت يدها علي رأسي ، تحاول أن تعرف مدي حرارة جسدي :
- شكلك تعبان أوي
- ضغط شغل مش أكتر
أخرها عندي بكره الصبح إستلام وردية حراسة ، معرفش هحرس مين لأ و المشكلة
إني هستلم من حسام !!
تعرفه جيداً ، كان يتمني رباطاً مقدساً بينهما ، أبي رفض
في قريته ، تتزوج الفتيات صغار السن ، علي نقيض ما نعيشه في المدينة
تعرف عنه ذكائه أو بالأدق لؤمه و مكره ، خطط لإيذائها أكثر من مرة
إبتعدت قليلاً لتجلس علي مقعدها المفضل ، ظلت تقلم أظافرها لبضع ثوان ، تتذكر ما حاول فعله بها
ثم عاد صوتها مصاحباً حلاً :
- هتستلم منه ؟ يعني مش هتقعد معاه كتير ، أكيد هيبقي تعبان من السهر و عايز يرجع بيته

إعمل شغلك كويس و محدش هيقدر يمسك عليك غلطة
هززت رأسي في إعلاناً صريح علي موافقة لكلامها
حاولت إستعاطفي و إمالة مشاعري تجاهها ، كأي أنثي تحتاج دوماً شخصاً تحتمي به و تخرج ما بقلبها له و مثلي كمثل أي رجل يحتاج – دوماً – إحساس إحتياج المرآة له لم أوجه لها أي إهتمام – ليس تقليلاً منها أو كرهاً لها .. ذكورياً هكذا تصنع الشخصية - تركت مقعدها .. إتجهت نحو المطبخ و عادت ثانية :
- مش ناوي تاكل معايا برده ؟
- مش موضوع مش ناوي أكل معاكي ولا لأ
أنا مش قادر حتي أقعد و بعد كده أقوم تاني عشان أنام
هدخل أنام و صحيني الساعة ٩ عشان أجهز و أنزل
كعادتي اليومية ، لم أعطيها من وقتي شيئاً وهي من تخصص وقتها كله لي
ظهر الحزن بصوتها :
- تصبح علي خير
و كأن عيناي لم تصدق ما سمعته أذني
فإذ بها تنغلق تلقائياً دون أي تحكم مني
كأني مصابا بداء السُكري و غُصتُ في غيبوبته
طوال حياتي لم أتمني شيئاُ إلا و حصلت عليه ، كعصفور الكناري الذي كنت أملكه
مات لقلة إعتنائي به ، لكن الآن لدي واحد آخر
لمساته التي تجعل أحس بأن الحرير يلامسني
صوته كأنه ملاك يناديني
أنا من أكثر بنو أدم حظاً .. فأنا أمتلك كناري كبير إسمه - إيمان -..
شقيقتي
في السنوات الأخيرة زاد عشقي لها فوصلت لمرحلة جعلتني لا أتركها تحرك شفتاها أكثر من مرة لتكرار كلماتها ، من أول كلمة صباحاً إستيقظت خاصة بعد أن داعبت وجهي بأناملها الصغيرة تلك

أستيقظت و كل ما يشغل بالي كيف سيمر هذا النهار مع أناس لا أعرف عنهم شيء و مطلوب مني حمايتهم !!
أجمل شعورين في الحياة بالنسبة لشخص كسول مثل
النوم
و إفراغ المثانة
و بما أني أديت الأولي إرضائاً لإيمان
فلابد من أداء الأخري
الآن و بعد أن أفرغت مثانتي أدرك صحة ما قرأته علي ظهر إحدي وسائل النقل - الإخراج نعمة .. قليل من يشكرها -
إيمان لم تنس دورها - المعتاد - في إطعامي كفرخ صغير
لعلها لم تدرك بعد إني قد تجاوزت العام الثاني بعد العشرون
بعد إرتداء الزي الرسمي
رُحت أدنس السُلم بقدماي
متوجهاً للمجهول ...
أعدت الحياة لسيارتنا و تحركت بها نحو من لا اعرف عنهم شيء
في الطريق إتصل بي عدو الـUnicefالأول
حسام عبد الراضي
مُقَدَم .. ٣٣ عام .. أعزب .. ليس لقلة ماله أو لأي صفة أخري ، هو يري فالزواج مجرد شيء لإفراغ الطاقة الجنسية ، وهو منذ عدة سنوات غير مهتم بذلك علي المستوي الشخصي صدقاته قليلة لما يعانيه من عنف مفاجئ دوماً في تصرفاته تجاه الجميع ، لا أعلم كيف يمت للشرطيين بصلة و هو علي علاقة وثيقة بالخمور و مشتقاتها
جسده الممشوق ، بناينه الضخم ، عيناه تحفران خندقان بوجهه كثيراً ممن يشبهونه في الأخيرة تلك في الغالب يكونوا من خارقي المكر و الدهاء لا يتعدي الـ١٨٠ Cm ، أنفاُ مدببة و فماً ليس بالعريض ، بشرته داكنة شاربه و ذقنه و حاجباه منمقان أكثر من النساء ، يهتم بشعره أكثر مما يستحم

تذكرت كل ذلك بعد أن رأيت إسمه علي شاشة هاتفي ، لم يتغير صوته الواثق ، لم ألاحظ عليه يوم الإرتباك أو التشتت :
- ألو ؟ فينك يا إياد ؟
- أنا في الطريق ، مش هتأخر عليك
- حاول تسوق بسرعة شوية عشان تلحق أستاذ عدلي قبل ما يمشي عايز يتكلم معاك قبل ما يروح المصنع
- حاضر
ضغطت أكثر علي حارق البنزين في سيارتي لأصل أسرع
بعد حِزمة من الدقائق وصلت لبيت عدلي ذاك
بابان من الحديد
بجوارهم لافتة كُتب عليها - فيلا عدلي سميح -
يحيط بالبابان سياج من الخرسان علي مساحة شاسعة
يحتضن أوتاد بُنية يتدلي منها أوراق خضراء
يهتم بهم شخصاً يُدعي روماني
مُذ بداية دخولي و أنا لا أعير المُجندين أي إهتمام
ليس تقليل منهم
إنما كُرهاً لما كُلفت به رُغماً عني
بعد أداء التحية العسكرية من قبل المجندين لي
قابلت حسام
- صباح الخير يا إياد
واقعياً أرفض فكرة التفائل أو التشاؤم ، لكن أن يبدأ يومي بحديث مع شخصاً كحسام فهذا ليس أمر حسنُاً
خصوصاً و أني أدرك تماماً ما يخبئه بنفسه ، شخصاً رُفض من أهل كان يشتهي إبنتهم و الآن يعمل مع أخاها ، هو ليس علي درجة كبيرة من الغباء ، ذكائه يُضرب به الأمثال بالوزارة كلها ، ترشيحه لي و طلبه من اللواء جلال فؤاد أن يكن قائدي المباشر في تلك المَهَمة ، ليس صدفة أو رغبة منه في تعليمي أي شيء ،

أعلم أنه يخطط لشيء ما ، يخبئ لي شيئاً ، لا أعلم ما هو حتي الآن ، لكني علي علم تام بأن الأيام القادمة ستحمل معاناة لي
- صباح النور
- استاذ عدلي مستنيك في مكتبه
تركته متوجهاً لداخل الفيلا
بضع خطوات فصلتني عن مكتب العدلي ذاك
لم أستغرق أكثر من دقيقة للوصول لمكتبه
أمام مكتبه أوقفني أحدهم متسائلاً عن وجود معاد سابق مع سيده
فأجبت بالتأكيد
ففتح لي الباب
دخلتُ المكتب فإذا بي أري مكتبُاً - من أناقته و لمعانه - يوازي قيمة عشرات السنين
من راتبي
يعلوه جهاز كمبيوتر لم يصل لمصر بعد
كراسي سوداء عملاقة
حائط مرصع بصور لقري سياحية قام بإفتتاحها
و أخري لعدلي مع وزراء و مسئولين سابقين
و ثالثة للأول - إن صح التعبير - مع عبيده
مكتبة صغيره بها عشرات الكتب
ستائر لا تمت للمصانع المصرية بصلة
خزنة عملاقة يفصلها أقل من نصف متر عن السقف ، عُلب سيجار كوبية ، سجادٌ إيرانياً ، و مكتبة تضم عدد كبير من الكتب أغلبها بلغات أجنبية
بعد أن أخذت عيني جوله في أرجاء مكتبه
وجه لي سؤال مباشراً :
- إياد .. ؟! إنت الملازم إياد ، مش كده ؟
- صح يافندم

جلس علي إحدي الكراسي النفيسة تلك واضعاً قدماً فوق الأخري وهو يدخن سيجاراً :
- الكلام إللي وصلني عنك إنك في خلال كام سنة هتبقي في مركز كبير
- دي شهادة أفتخر بيها يا فندم
لم يتحرك من مكانه ، حتي أنه لم يحرك لسانه ، فقط قام بتحريك يده ليه مشيراً إلي الكرسي المقابل له ، سمح لي أخيراً بالجلوس :
- طلبت من حسام إني أقابلك إنهارده عشان أشرحلك شوية حاجات و أعرفك علي ولادي
- تحت أمرك يافندم
ترك الكرسي ليزور أخراً ، الكرسي الرئيسي أمام المكتب ، ضغط علي زر و أكمل حديثه :
- أنا عندي ولد و بنت بس ، دول إللي طلعت بيهم من الدنيا زي ما بيقولوا في المسلسلات
من فترة كده في واحد إتصل بيا و قالي إنهم جماعات متشدده و هددني بخطف بنتي
و إللي قلقني أكتر إنها من فترة كده إتعرضت كذا مره لحالات تحرش
ف فكرت إن دي بداية تنفيذ لكلامهم عشان كده كلمت سيادة الوزير عشان يتصرف في الموضوع ده
إذن صدق حدسي حينما شككت أنه من علية القوم حتي يُنفذ له طلب :
- تحت أمرك يا فندم
في تلك الأثناء ، فتح الباب روماني هذا ، من رأيته في حديقة الفيلا ، و بصحبته طفل و شابة :
قدمهم لي
يوسف .. إبنه الصغير
ثلاث سنين و إزدادوا إثنين
عمره لا يتناسب مع مستوي إرتفاعه عن سطح الأرض

قصير ..
كأنه - من شدة جماله - إبناً لحورية من حور الجنة
عيناه الواسعتان
ملامحه الصغيرة .. الدقيقة
شعره الأسود الحريري ، بياضه الناصع
وجهه المُمتلئ .. أسنانه التي تتساقط منه
أطرافه القصيرة
كل شيء صغير جميل ، ككل شيء بعيد عنا .. له جماله الخاص
إلي أن يكبر و تزداد مساوئه معه أو أن تتضح عيوبه أكثر
أنا لم أعرف جمالاً لشيء إطلاقاً ، فلم يكن هناك شيئاً بعيد عني
ياليت يوسف لا يكتمل نموه و يظل بتلك المرحلة
حركت حاجباي أعلي و أسفل مداعباً إياه للحظات
و من ثم رفعت قرنيتي من وجهه حتي إلتفت إلي إخته
إنها هي !
من رأيتها أمام أسوار الجامعة ، من لاحظت في عينها المادة الخام للخجل
قاطعت حديث عقلي ذاك بصوت يملئه الدهشة :
- أزيك ؟ ، إنت مش فاكرني ؟
نظر لها عدلي بدهشة :
- إنتوا تعرفوا بعض ؟
ردت هي عليه :
- ده ساعدني قبل كده عند الجامعة
ثم عاد لي مجدداً بشيء من البهجة :
- كويس إنكم تعرفوا بعض ، دول ولادي ، يوسف و يارا
يارا ! ، حمداً لله أنه ذكر إسمها
كُنت منذ البداية أتذكرها و لم يصدق عقلي تلك الصدفة فراح يطلق
إشارات تلقائية جعلت من فمي قوس يتجهه نحو عيناي

لكني أردت أن أسمع صوتها مرة أخري
تدخل عدلي ليفسد عليّ تلك اللحظة
- خليني بس أطلب منك حاجة كمان ، أو بمعني تاني أقولك علي سبب وجودك هنا
- تحت أمرك
بعد أن قمت بتجربة الجلوس علي كُرسيه النفيس ذاك
جلس أمامي و راح يُقوي عضلات شفتاه مُحدثني ..
- زي ما قولتلك يارا كذا مره تيجي تحكيلي عن ناس ضايقتها سواء بكلام أو بفعل
و ده بعد ما جالي تهديد ، ف شغلك هيبقي حمياتها
هي مهمتك ..
- عُلِم و جاري التنفيذ يافندم
بس دلوقتي في مشكلة ..
المشكلة مش مشكلة إني أحميها وسط طلبة كتير .. الفكرة كلها
إزاي هدخل وسط الطلبة دي
أنا مجاليش تعليمات من جلال باشا لحاجة زي كده
ف معلش إحنا مضطرين نخلينا متروحش الكلية فترة كده لحد ما ننهي الموضوع ده
نظر لي في عيناي كدليل علي إختبار التماسك :
- إنت شايف كده ؟
- الطبيعي يافندم في القضايا إللي زي دي ، بيبقي ده الحل
أخذ نفساً أخراً من سيجاره و أراح ظهره علي كرسيه ذاك :
- أكيد أنا مش هعدل عليك .. إللي تشوفه في مصلحتنا إعمله
في تلك الأثناء خرج كلاً من يارا و يوسف ، بعدها حاولت أن ألحق بها ، فما كان الحل إلا بالإستئذان :
بعد أذنك هطلع للمجندين بره ، عشان أديهم الخدمة بتاعتهم

لم يكلف نفسه كالسابق بتحريك لسانه ، فهز لي رأسه كإجابة الموافقة :
- أكيد ، أتفضل
تركته و لا أدري أأفرح لوجودها المُحتم الدائم أمامي ، أم أحزن لأني من الأُناس الذين تفضحهم عيناهم
في حديقة الفيلا ، وجهت سيلاً من التعنيف في وجه المُجندين
من أنهكهم الفقر ، فلم يجدوا دون العنف مصرفا
يستخدموه للتفريغ عن شحنتاهم الغاضبة مما يلاقوه من أمثالي
قد يُضطروا للعراك لا للشجار معك .. قد يطاردوك أو قد يصل الأمر بهم لقتلك
فهم كما نعرف عنهم أنهم - مجازاً- عِباد المأمور فإن لم ينفذوا أمر الأمِر يعاقبوا .. تماماً حينما لا تُنفذ أمر ربك ، تعذب حرقاً
لا عُذر فالقتل .. أعرف
لكن مُتيقن إيضاً -رغم عدم تجربتي- إن إهانة الوالدين بألفاظاً نتنة يعد من أبشع مساوئ الدنيا كذلك الحبس الإنفرادي
قضمة من قدمك في الأطلسي من قرشاً أبيض ستكون أرقي من جانب الحفاظ علي الكرامة
تركتهم و أنا علي إيمان بأننا لولا تلك المَهمة لفتكوا بي و بحسام
علي أي حال الفتك بحسام سيكون شيء شيق أكثر من إنتظار طفل صغير لهدية من santa claus
لم تمر سوي دقائقُ عِدة حتي عادت يارا
لا أعرف لما كُل هذا الإعجاب بفتاة لم أراها سوي مرتان ؟
أفتنت بجمالها ؟ حيائها ؟
أم أنني أحتاج و بشدة للحب و بأي شكل كان
ليس نقصا أو فراغاً أو غيره من شخصا ما
و لكني فقط ... أحتاج لمن يعيد لي احساس بأني من ذوي الأدمية
لن يكفيني حب إيمان لي
كعادة بنو آدم

أترك من يعشقني في سبيل من لا أعرف أي شيء !
إنه حب الإستكشاف
حينما مرت أمامي لم أركز عيناي عليها كما عادتي
إنما وجهتهم صوب المُجندين .. حتي أعرف أأنا فقط المصاب بداء سُمي - يارا - إم إنه وباء فتاك
.. حمداً لله
لسُت وحدي
أنا فرد من بين كثير من المرضي
أدركت نظارتُنا التي تكاد تحرقها
فإتجهت صوب الفيلا و من ثَم غرفتها دون أن تُلقي أي تحية أو أن تنظر حتي إليّ أنا فقط
لم أحاول أن أُتاجر بوظيفتي أو بجانبي الإنساني حتي أحُدثها ثانيةً
فقط حاولت أن أترك القدر لمصالحتي بعد أن أدار لي وجهه القبيح يوم أن فارقني والداي
مرت ساعات النهار كما السِبعُ العجاف
يحاوطُني المُجندين بوجوههم الصفراء المُتأثرة من الجوع و اليأس و البؤس
دعوت ربي أن تنتهي تلك الساعات فإن لم أحصل علي من بدأت أعشقها
ففي بيتي من يعشقني
مصيبتان في إنتظاري
ملاقاة حسام
تركي ليارا
إضطررت للإتصال به حتي يُسرِع من خطواته حتي أخرج من ذاك الوضع المأسوي
مرت ستون دقيقة إضافية حتي وصل
لم أتحدث معه كثيراً
ليس إنهاك عملا أو عدم تحمل مسئولية

فقليل من الألم النفسي كفيلا بالفتك بجسدك أكثر من تأثير جرعة زائدة من مخدر الترامادول
بصرف النظر عن إشمئزازي منه
أيقظت محرك سيارتي
و بدأت في التوجه حيث تقع جنة الله علي الأرض
بيتُاً به إيمان
من لم يجعل له ربه من أبواه أختاً لن يعرف قيمة تلك الحياة
كعادتي اليومية أمام الباب بعد قرأت الفاتحة لوالدي ثم لوالدتي
تركت مفتاحي يمارس الحميمية مع قفل الباب
فيكفي إيمان الإعتناء بي و بدراستها و بنفسها
لن تصمد لمنتصف الليل
معاد عودتي
لدي بضع ساعات أريح بدني فيهم حتي يعود لرحلة الإنهاك تلك المنتهية سلفاً لحسن الحظ أني ممن يمتلكون ملابس إضافية للعمل
فتلك التي تحتضن عظامي ستصبح كطريق في قلب سلسلة جبال البحر الأحمر
لن أصمد حتي أبدلها بملابس النوم
ألا لعنة الله علي الإرهاق و الكسل
قبل أن تغفو عيناي .. لمحتا ورقة معلقة علي أحد جوانب الغرفة ، في البداية تبدو مألوفة
لا شيء جديد بها ، مجرد ورقة منظمة تماماً كنظام الكلمات المتقاطعة ، حتي الآن لا شيء يثير الإهتمام
سوي ما الذي جاء بها لغرفتي ، و لما تم ترتيبها بهذا الشكل المنظم
لا يمكن أن تكون إيمان ، هي لا تهتم بتلك الأشياء
بعد جدال طويل داخل رأسي تقدمت إليها محاولاً إيجاد إجابة لتلك الأسئلة حسناً ، لم أقلل من الأسئلة بل زادت ..
شكل و لون الأحرف التي كتبت علي تلك الورقة غير مألوف

أحرف لونها أحمر .. تماماً كالدم ، طريقة كتابتها غير عادية ، كما لو كان أحد الدجالين
هو من قام بكتابتها ، لم أفهم شيء من ترتيب الحروف
لم أفهم ما الغرض من ذلك في الأساس ، الطبيعي في الكلمات المتقاطعة إن تكون الفراغات
هي الغالبة و علي من يرد أن يلعب أن يملؤها و ليس ما رأيته
الفراغات مملؤة بأحرف كتبت بلون و نمط غريبين و حتي الأن لا أعرف معني ما كتب
لا أعرف إيضاً لم أخذ عقلي الموضوع من جانب أنه عمل سُفليّ ، ربما لطريقة الكتابة و لونها إيضاً
ربما لوجودها دون مبرر علي أحد جوانب الغرفة و خصوصاً الذي يعلو سريري علي كُلاً ، حتي و إن صدق ما شككت به فلا مجال الآن للتحقق من أي شيء صباحاً ستظهر الحقيقة
واقعياً .. لم أقدر علي إغفال الأمر أو التعامل معه علي إنه شيء عابر ، حتي و إن أغلقت عيناي
فعقلي لا زال يفكر بالأمر ، فوراً إنتزعت تلك الورقة و خبئتها في قميصي
الآن لا داعي للقلق ، علي الأقل إن كان هذا عمل سفلي أو ما شابه ، فقد إنتزعته و لن أنظر إليه مجدداً
حتي صبيحة الغد ، و حينئذ سيوجد حتماً حل
صباحاً .. إيقظتني إيمان
مع بضع أحرف من شفتاها و قبلة علي رأسي
أكره الروتين .. فيأتيني الكثير منه !
واجب عليّ أن أقوم بنفس الأدوار كل يوم
إطعام إيمان لي صباحاً .. إرتدائي للزي الرسمي .. تدنيس السلالم بقدماي
إدارة محرك سيارتنا و الذهاب للعمل
يكفي ملاقاة نفس الأشخاص بوجوههم الشاحبة تلك كي أُصاب بالإكتئاب المُزمن

داخل فيلا عدلي ..
كان حسام يجهز نفسه للرحيل .. فقط ينتظرني ليغادر
لكن قبل أن يريح أعصابي منه لبضع ساعات
قرر إخراجي عن شعوري لبعض الوقت
تقدم إليّ و كالمعتاد إبتسامته الساخرة تلك تملئ وجهه ، صوته كذلك كان متحدياً ساخراُ دوماً :
إياد .. ! صباح الخير !
- صباح النور يا فندم
وضع يده علي كتفي و تقدم خطوة ليجبرني علي المشي معه :
إيه ؟ لسه برده مش ناوي تفهم إني عايز مصلحتك ؟
أنا خايف عليك زي أخويا الصغير بالظبط و عشان كده بقولك علي اللي فيه مصلحتك
بَعِدتُ عنه قليلاً مُسقطاً يده من أعلي كتفي :
أخوك ! ، يافندم المرات إللي إتكلمنا فيها من بعد موضوع إيمان قليل جداً حضرتك مش ناسي رفض بابا ليك
لم تغب إبتسامته تلك ، غير مريحة بالنسبة لي ، شخص رُفض لما كل تلك الإبتسامات التي تحمل في طياتها خُبث و لؤم !
- ده موضوع و إنتهي يا إياد
نظر أمامه قليلاً ثم أردف :
ركز في مصلحتك و شغلك
حركت رأسي له بعد أدار خاصته هو بعيداً عني :
- وهي مصلحتي في إني أعمل نفسي أطرش و أعمي و مانطقش بالحق ؟
أشعل سيجاراً و إلتف بجسده كاملاً ، نفث دخانه في وجهي و تحدث بثقة عمياء :
- بص يا إبني .. في البلد دي الحق زي البنزين ال٨٠ .. أنابيب البوتاجاز .. الدوري للزمالك

مش حاجات نادرة .. لأ ، دي حاجات معدومة
حاجات لا بنشوفها ولا نسمعها ولا نقدر نتكلم عنها
كرر فعلة التدخين السلبي تلك ثانية :
شوفت لما نفخت الدخان في وشك عملت إزاي ؟
تعبيرات وشك إتغيرت ، معرفتش تتنفس ، فضلت تكح
ده نفس إللي بيحصل لما تقرر تعمل حاجة مش هتفيدك ، حتي لو صح
متعملش حاجة غير مصلحتك
كاد حاجباي أن يلامسا عيناي من إستنكاري لكلامه :
- و إزاي أتقبل الوضع ده ؟
أعيش عاجز يعني ؟
وضع يده ثانية علي كتفي لنمشي سوياً مرة أخري :
- مقولتش تعيش عاجز ، بس متحاولش تغير الكون و تبني المدينة الفاضله عشان مش هتنجح
إحنا مش مصلحيين إجتماعيين ، لما يجيلك أمر لازم تنفذه مش تسيبه و تنفذ إللي في دماغك إنت
و إنت كنت يا سيدي عملت الحركتين دول عشان تعجبها
أهي وقعت في طريقك تاني
صمت للحظات ثم ظهر بصوته حقد بيّن :
- من صغرك و إنت إللي بتحتاجه بتلاقيه من غير تعب
أخرج السيجارة من فمه و طرحها أرضاً
بعد أن دهسها بقدمه ، رفع رأسه لي مجدداً :
- أنا حبيت أنصحك بس ، هسيبك عشان أرتاح أنا شوية
لوح لي بالتحية العسكرية تلك و ظلت إبتسامته علي وجهه و بدأ حجمه يتقلص شيئاً فشيئاً حتي إختفي تماماً
بعد مغادرة حسام
لم ينسي عقلي تلك الورقة ، ظل يبحث لها عن تفسير أو تعليل لكنه لم يجد

لن يرتاح ، لن يجعلني أنتبه لما تم تكليفي به
إنه فضولي
من يوجهني الآن لطريق التشتت
فوراً .. إتصلت بإيمان
رنين مُملاً أتبعه صوتها الدافئ هذا :
إياد .. ! ، حسام عمل حاجة ؟
لا أعرف لما كل هذا الخوف من ماضي بالنسبة لنا جميعاً
شخص تم رفضه ، لما يشكل عبئاً يومياً علينا ؟
لما في الأساس كان هو أول ما طرئ ببالها حين رأت أرقامي علي هاتفها ؟
ربما لأنها تعلمه نفسياً أكثر منا جميعاً ، دراستها بقسم علم النفس ، جاء عليه بعواقب كبيرة
ليس سهلاً علي أي شخصاً مهما كان أن يري الحقيقة السوداء للبشر جميعاً
فطلاب و أستاذة علم النفس ، يعملون و يرون ما لا نعلم و نري
يعلمون كل شيء عن الشخص الجالس أمامهم من مجرد نظرات عينيه
لعلها تعلم عنه شيئاً – بحكم دراستها – لا نعرف عنه نحن شيئاً
- لأ خالص ، أنا كنت محتاج حاجة
كعادتها وافقت فوراً حين سمعت كلمة - محتاج -
ملئ الحماس صوتها :
- أنا تحت أمرك
- فاكرة صاحب بابا إللي إسمه عمر الخطيب ؟
الشيخ ده
صمتت لبضع ثوانٍ من دهشتها لما شخص مثلي يُرد التحدث مع أحد رجال الدين ؟ :
- ماله ؟
- كنت عايز رقمه
زادت حالة الدهشة تلك لديها :

- حصل إيه ؟
لأ محصلش حاجة ، واحد صاحبي بس كان عايز ياخد رأي شيخ كبير في حاجة تخصه كده
وقولتله إن بابا كان ليّه واحد صاحبه كويس جداً في الموضوع ده
محاولة قد تكن ضعيفة و رديئة إلا أنها قد تفي تهدئتها لبضع ساعات
- طيب لما ترجع إن شاء الله هكون جبتهولك
لم أقدر علي توضيح سببي الجوهري من طلبي هذا
لم أرد زيادة سرعة دقات قلبها من قلقها
أنهينا المكالمة و كل منا أكمل ما بدأه ، هي في دراستها و أنا في فيلا عدلي
وضعت هاتفي في جيبي و بدأت في البحث عن أي شيء يبعد تفكيري عن هذا الحُلم و يجعل ساعات الحراسة تلك تمر بسلام
لحسن الحظ يارا كانت في حديقة الفيلا ، حرفياً لن تتوقف عيناي عن النظر لها و التحديق بها
في سبيل رحمة عيني ، كان الحل إيذاء أذناي ، صوتها من هول نعومته كأنها تملك مزماراً من مزامير الجنة
كانت تقطف ورداً من حديقتهم ، إقتحمت عالمها فجأة و إنحيت حتي وصلت لمستواها :
- يارا .. ! إزيك ؟
كانت مفاجأه لها أن تري ظابطاً بزيه الرسمي ينحني مثلها كي يقطف معها أزهاراً ، تركت ما بيدها و غيرت من وضعية جسدها لتبقي مستقيمة
- أنا كويسة
لم أترك فرصة كتلك تمر مرور الكرام عليّ ، عُدت أنا لوضعي السابق ، قطفت أخري و مددت يدي بها ، في محاولة لكسر التوتر الذي أصابها
- أسف لو كنت بفرض نفسي عليكي ، لكن جزء من شغلي ، إنك تفضلي قدام عينيا
إبتسمت إبتسامة صفراء مدلولها أنها لم تشعر بضيق حال وجودي :

- أكيد مش متضايقة
كانت إجابتها دائماً لا تزد عن عدة أحرف تعد علي أصابع اليد الواحدة
بائسة ، تدرك أن لا فائدة لها هنا تماماً كزجاج مهشم ، صامتة و عيناها تروي مجلدات
تبتسم و عيناها شاردة تضم أكبر مكتبة لمعاني الآلم
تنظر حولها آلاف المرات ، حتي داخل بيتهم ، كأن أحداً يراقبها
دوماً تعتقد بأنها مسجونة داخل نفسها
أول مرة رأيتها كان علي وجهها علامات الضيق علي الرغم من أنها بالشارع
شيء كهذا قد يجعل الكثير يفرح إلا هي .. ببساطة ، هي أنثي مصرية
ما يبهج العامة – أي الذكور – حرفياً لا يبهج نقيضهم الجنسي !
حاولت فتح حديث معها ، إبتسمت إبتسامة صفراء ممزوجة بسؤال لعلها تخرج من أزمتها تلك :
قوليلي بقي .. نفسك تعملي إيه بعد ما تخلصي دراسة ؟
أحتضنت نفساً عميقاً بين رئتيها و أخرجتها مع تنهيدة طويلة :
- نفسي أسافر
عجبت لأمر فتاة مثلها أن تتمني شيئاً كهذا ، هي هنا ملكة لما قد تسافر و تصبح مثلها كمثل أي فتاة أخري :
- تسافري ؟
أيدت قولها السابق بتحريك رأسها :
- أيوه ، نفسي أسافر
المهم أخرج من السجن ده
إرتفع حاجباي لا إرادياً أمام كلماتها تلك :
- سجن ايه ؟
و تسافري ليه بس ؟ علي فكرة هنا أحسن كتير من أي مكان تاني !
نظرت للسماء لدقيقة تقريباً ، في الغالب كانت تتمني صاعقة من السماء تصيبني أو أن تنشق السماء عن مركبة فضائية فتبعدني عنها ، ثم عادت رأسها

لي مجدداً :
- ممكن أسأل حضرتك سؤال ؟
- أكيد ، إتفضلي
في المرتين السابقتين اللواتي رأيتها فيهم لم أراها بتلك العصبية ، لم أعتاد أن أري فتاة بجمال و هدوء يارا تنفعل كإنفعالها :
.. إنت عمرك خوفت تمشي لواحدك في الشارع ؟
عمرك خوفت تروح شغلك أو مكان دارستك ؟
عمرك خوفت تقف فالشارع تستني أي حد ؟
عمرك فكرت ألف مرة و إنت بتلبس لتلبس حاجة تتحاسب عليها بعد كده ؟
عمرك كرهت جسمك ؟
عمرك إتعايرت بنوعك ؟ لما يتقال لطفل ماطعيتش زي الـ***
أكيد إنت عارف الباقي
لما تبقي كرامتك و شرفك حاجة الشباب بيهزوا بيها مع بعض
عمرك تعبت و إتكسفت تقول إنت عندك إيه عشان عيب تقول إنك مريض بكذا ؟
كل حاجة .. كل حاجة
صمتت كما المرة الأولي ، لكن الآن زاد عليا الدموع
بدأت عيناها تدمعان ، كأنما تذكرت شيئاُ أشد قسوة :
- حتي في الأفلام العربي الأبيض و أسود دي
تلاقي دايما الست ملهاش رأي ولو خرجت من بيتها تبقي عملت جريمة
ف نفس الوقت إللي لو راجل زني فيه تبقي غلطة !
و اللي اتكسر يتصلح
في التمانينات .. في الأفلام الملونة بقي عمرك شوفت راجل بيتضرب من ست ؟
عيب صح ؟ و ماينفعش حاجة زي كده تحصل
لكن عادي جداً إن بنت أو ست تتضرب لا و بالقلم علي وشها
و حتي لو في إعتذار بعد كده بيبقي بكلمة و بعدها ينام معاها

يعني بيعتذر عشان أنانيته مش عشان إحساسه بالذنب
إعتذار وسخ .. إعتذار لابس قناع
و السينما دايما بتنقل جزء من الحقيقة .. عرفت ليه بقي نفسي أسافر ؟
حاولت تهدئتها عبر مقاطعتها ولو لثوانً :
- بس .. !!
لم تسمح لي ، كانت شحناتها السالبة أكثر كثيراً مما كنت سأطلقه من نظيرتها الموجبة :
- قبل ما تقاطعني أو تفكر تجاوب
هسألك سؤال أخير و حاول تجاوب عليه
- إتفضلي
- هو لو حد قالك نكتة علي الدين أو علي شيخ هتزعل صح ؟
طيب ليه محدش بيزعل لما بيتقال نكت علي البنات ؟
مع إن حفظ حقهم من الدين برده !
ساد صمتي للحظات
لحظات لم أحرك فيها ساكناً .. لم أجد رداً مناسباً
فالواقع .. لن أجد رداً في الأساس حتي إن لم يكن مناسباً و منطقياً
هي الآن كمن تم ظل طوال حياته أبكم و الأن ..
الأن فقط عادت له تلك النعمة
ملامحي تغيرت مع كلماتها تلك
حاجباي إرتفعوا لا إرادياً
فمي شَكّل دائرة صغيرة
عيناي إتسعت أكثر
كل أشكال التعجب بدت عليّ
حمداً لله أنها لم تكُن من ضمن لجنة المقابلة الشخصية في كليتنا
فلو كانت من تلك اللجنة و فرضت علي أسألتها تلك بإسلوبها هذا
كنت لن أعرف معني كملة ظابط طوال حياتي

قررت أن ترفق بي
لم تفرض عليّ أسئلة تعجبية أخري
إنما فرضت عِبارَة بها تحدي ليس لي
إنما للمجتمع بأسره
- لما تلاقي إجابة إبقي قولي عشان أغير فكرة السفر دي
ظلت تلك الحالة مسيطرة عليّ ، حالة الإندهاش و الصمت
إلي أن قررت تغيير مجري الحديث
- ماهو إنتي لازم تواجهي
لازم تواجهي سكوتك قبل ما سكوتك ده يبقي سبب موتك
إنتي عارفة كويس إننا في ...
قبل أن أُكمل كلماتي سمعنا صوتُ تبادُل رَصاص آت من ناحية الباب الخلفي للفيلا
كلانا جري في إتجاه الصوت
الدقيقات اللتان ذهبوا مع الريح في طريقنا للباب
كانتا كفيلتان بقتل مجندين
و يوسف
شقيق يارا !
لا أحرف بأي لغة كانت تقدر علي وصف المشهد
ثقوب بأجسادهم يخرج منها دخان ناتج عن الرصاص الذي إخترق أجسادهم عابراً إياها ، دماء من كثرتها جعلت الأرض لن تحتاج للرَوي لفترة طويلة ، تنازع أرواحهم أثناء خروجها ، تمتة بكلام غير مفهوم .. ربما كان شهادة أو طلب قبل المشهد الأخير
رؤيتي لهم و هم يقاومون الموت ..
تتحرك أجسادهم بشكل غريب ، غير مفهوم و غير إعتيادي ، كأنهم طيور أو حيوانات قُطع عدة شرايين و أوردة من رقبتها و تُركت حتي تنزف كل ما بها من دماء و تُكن شاهدة علي مشاهدها الأخيرة

أمنياتي بأن أعيش أبدا ولا أري لملك الموت وجها ليس خوفاً من الموت في حد ذاته ولكن حتي أعرف المعني الحرفي لسَكرات الموت مثلهم
الألم الأخير .. النفس الأخير .. تلك التنهيدة الأخيرة التي يصمت بعدها كل شيء
لا مجال للتفكير بأي شيء ، فقط أجبرني عقلي علي المشاهدة
لم يتبقي من هذا المشهد الدرامي سوي مجندين
لحسن الحظ ، أصيبوا فقط
هم الأن .. كنز ثمين لنا ، هم من رأوا كل شيء ،
دونهم لن نقدر علي شيء
دونهم أنا -غالباً- سأواجه مصير الفصل أو عدم معرفة معني كلمة - ترقية- لفترة طويلة
بعد فترة من الذهول و الصدمة ، أخرجت الجهاز اللاسلكي و طلبت لهم الإسعاف علي الأقل للحفاظ علي من أصيبوا فقط .. لن تسمح حالتهم للحديث الآن
و لن يسمح لي وضعي الآن إيضاً بتركهم دون معرفة أي شيء
بعد عدة ساعات ، بعد أن تم تكليف قوة إضافية من الأفراد للتأمين في ظل وجودي مع المجندين
مرت عليّ تلك الساعات كمن ينتظر نتيجة تحليله إذا كان جسده يحوي سرطان أم لا
كل دقيقة .. بل كل ثانية كفيلة بأن تجعلني علي محك إحدي مستشفيات الصحة النفسية
ليس لإنتزاع أرواحهم أمامي دون القدرة علي تقديم أي شيء فقط ، إنما هو إنتظار المجهول ..
فتقدير البلاء قبل حدوثه يعصف بالسفن قبل ركوبها للأمواج ، فما بالك إن كانت بالفعل في عُرض البحر ولا تقدر علي الإنسحاب من المشهد
بعد أن حُبست أنفاسي لعدة ساعات
أصبح الأمر يسيراً للتفرغ لإستجواب المصابان
أولهما .. محمد بن عبد البر

شاب لم يكمل العقد الثاني من عمره بعد ، جنوبي الأصل و المنشأ ، شعره المتجعد ،
ملامحه الحادة الكبيرة كأنفه ، شفتاه الغليظتان و لون وجهه الداكن
أبرز ما يميزان وجهه ، علاوة علي ذلك قوته البدنية
كل ذلك لم ألحظه بشكل جيد منذ البداية .. منذ بداية عمله معي
فقط لاحظته عند مراقبتي له بعد الحادث ، لإستجوابه ليس أكثر :
- تقدر تقولي إيه إللي حصل بالظبط ؟
بصوتاً خافت ، هو طبيعياً أن لا يرد ، هو مصاب بطلق ناري
أما هنا ، فأنا أقوي من إصابته
لا مكان للإحساس و الشعور هنا :
- كنا واقفين عادي يا باشا ، مرة واحده لقينا موتوسيكل عليه ناس متلسمين ، عدوا قدامنا مرتين و في المرة التالتة سمعت صوت الرصاص بصيت جنبي لقيت فؤاد يا باشا مرمي علي الأرض
بعديها حسيت برصاصة و من بعديها مش فاكر حاجة
حركت مقلة عيني لطرفها و نظرت له من تلك الزاوية الحادة ، أكملت إستجوابي له لكن ليس بنفس الحماس ، إحساس العُلو فوق أحدهم ليس جيداً :
- و ماشدتش الأجزاء و ضربت ليه ؟
- يا باشا دي كانت أول مرة أمسك فيها سلاح
إرتفع صوتي عالياً بعد أصابتني جملته الأخيرة بذهول :
- يابني إنت مش مجند ؟ إزاي ممسكتش سلاح و إتدربت بيه قبل كده ؟
واقعياً كان صمته أكثر فائدة مما نطق به :
- جلال باشا كان مشغلنا أنا و فؤاد عنده في البيت
حمداًلله أن الهواء الذي أخرجته من فمي نافخاً إياه لم يكن ساخناً ، كنت سأصنف تنيناً بعدها :
طيب الموتوسيكل ده كان عليه نمر ؟
- كان عليه يا باشا ، بس ربنا ما يكتبها عليك .. انا مبعرفش لا اقرا ولا أكتب

- نعم ؟ يعني إيه مابتعرفش تقرا و تكتب ؟
إنت فاهم إنك مجند أمن ؟ و إن معظم القضايا ممكن يحلها مجند زيك لو فهم كلمة أو إشارة ؟
إزاي يعني يبقي عندنا واحد بيحمي البلد وهو مابيعرفش يقرا و يكتب أساساً
صمت ، لا يملك ما ينطق به
بعد لحظات من الصمت الممزوج بنظرات الإستحقار و الكُره لذاك المجند ، قَلبتُ كفيّ علي ما سمعته
لن أجد ما أبحث عنه عند ذلك المجند ، لو إعتمدت عليه لخسرت كل شيء
مرة أخري وجهت أسئلتي له و لكن بطريقة تنم علي الإشمئزاز :
- و زميلك اللي اتصاب هو كمان ؟ مابيعرفش يتنيل زيك كده ؟
- كلنا كده يا باشا ، كلنا مابنعرفش نفك الخط
و هما بيختارونا عشان كده ، عشان لما حضرتك و اللي زيك تدونا الامر منفكرش ، ننفذ علي طول
اللي متعلم ده ، بيعرف يفكر ، الا اللي زينا كده ، مطرح ما تربطه و تسيبه ترجع تلاقيه في مكانه
للحظات ظلت عيناي متجهتان إليه ، دون التفوه بأي كلمة
إنها لحظة إدراكي ضياع أشياء كثيرة .. لحظة الخذل ، بقائي لن يفيدني بالكثير
من الأفضل الآن أن أعود إلي البيت ، مرت ساعات طويلة منذ خروجي منه صباحاً
فغداً تنتظرني تساؤلات عدة إن لم يكن تحقيق عما حدث
تمام الواحدة صباحاً ..
داخل غرفتي ..
قبل أن أبدل ملابسي ، لمحت عيناي ورقة لُصقت علي مكتبي
بها إسم عمر الخطيب .. صديق والدي
و أرقامه
إنها إيمان .. من أحضرها إلي هنا

نظرت لتلك الورقة فقط ، فتذكرت الورقة الأخري .. من داعبت عقلي ليوم كامل دون أن يغفل عنها ولو للحظة واحدة
لكن كأمس .. الوقت متأخر
صباحاً .. سأعرف رأي هذا العمر فيما رأيت .. حتي لا أتصرف بشكل خاطئ إن كان ما فكرت به صحيح ، إن كانت عمل سفليّ
صباحاً .. قبل أي شيء .. هاتفت عمر الخطيب هذا ..
- ألو .. إستاذ عمر الخطيب ؟
- أيوه ، خير ؟
- أنا الملازم أول إياد شريف إبن اللوا شريف خطاب
- أيوه .. إزيك ؟
- الحمدلله ، عشان مطولش علي حضرتك بس ، أنا كنت عايزك في موضوع مهم جداً
- إتفضل يا إبني
- لا ، هو الحقيقة الموضوع مش هينفع في الموبايل ، لازم أشوفك أقابلك إمتي و فين ؟
- طيب ، إنت ممكن تجيلي العيادة و نتكلم مع بعض شوية
- عيادة ؟ مش حضرتك شيخ برده ولا أنا فهمت غلط
- لما تيجي هفهمك كل حاجة
- ممكن العنوان و أجيلك إمتي بالظبط ؟
بعد أن حدد له موقعه كان علي التوجه إلي محل عمله بعد أقل من ساعتين و معي تلك الورقة
عسي أن يفيدني أو أن أتخذه مفسراً لي
لم أنتظر حتي ترتب إيمان أياً من أعمالها الروتينة تلك .. علي الفور كنت في سيارتي متجهاً لشخص
قد يفسر لي الأمر أو قد يزيده تعقدياً
أمام بوابة عيادته تلك

باب بُنِي اللون عليه قطعة أخري من الخشب حُفر بداخلها
-عيادة الشيخ عمر الخطيب -
داخل العيادة لا يوجد شيء لافت للنظر .. عدة كراسي واهية
تلفاز ، مكتب صغير للحجوزات يجلس أمامه شخص ذا لحية صغيرة
كان أول ما لمس جسدي من عيادته قدمي اليمني ، طرقت بابه بأناملي ، و توجهت لهذا الشاب الجالس أمامي :
- السلام عليكم
قالها مبتسماً :
- و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته ، إتفضل !
رفعت سبابتي و أشرت له علي غرفة بن الخطيب هذا :
- لأ ، أنا بس كان عندي معاد مع الشيخ عمر ، يا ريت لو تبلغه اني وصلت
ترك مقعده و هز لي رأسه :
- طيب ارتاح ثواني
ترك مكتبه و تحرك تجاه مكتب عمر ، حتي الآن لا أعلم أأنا علي ميعاد بعيادة أم بمسجد ؟
لا شيء حتي الآن يدل علي الطب أو أي شيء له علاقة به .. فذاك الشاب بمجرد أن تحرك من موضعه ، لاحظت أنه يلبس جلباب أبيض يعلو كعبه
لا يرتدي معطف أو أي شيء يدل علي أنه يفقه أي شيء في الطب
لا يوجد أي غرف كُتب عليها أي تخصص كما هو الحال في أغلب العيادات الخاصة
في الأساس كُتب علي باب العيادة - الشيخ عمر- و ليس - د.عمر-
في اللحظات التي تفحصت فيها المكان جيداً كان هذا الشاب قد اقترب مني
- اتفضل ، شيخنا مستنيك
- شكراً
- الشكر لله وحده
لم أخطو سوي بضع خطوات حتي وصلت لمكتبه

وضعت يدي علي مقبض الباب لفتحه
خطوة أخري للداخل .. لم أجد شيئاً له علاقة بالطب كما هو الحال بالخارج
لا معطف ، لا أجهزة طبية ، مجرد آيات قرآنية موضوعة داخل أُطُر خشبية معلقة علي جدران الغرفة
رجل في سن الهِرم ، تبدو عليه علامات الصلاح -في رأي البعض- لحيته الكبيرة ، تلك العلامة
البنية المتحجرة أعلي جبهته ، التجاعيد التي تملأ وجهه
شعره الأبيض الكثيف
أبرز ما يميزه
- إتفضل يا إياد
سؤال يجاوب علي أسئلة عِدة :
- إنت شيخ ولا دكتور ولا إيه بالظبط ؟
حاول أن يزيل حِدة السؤال بإبتسامة صفراء :
- لا أنا معالج بالقرآن و الرقية الشرعية
- أياً كان .. عشان مخدش من وقتك كتير ولا أتعطل أنا كمان عن شغلي
عايز رأيك في حاجة غريبة لقيتها في البيت ، فوق سريري و معرفش ليه شكيت إنها
حاجة زي دجل و شعوزة ، عمل مثلاً
عموماً خليها معاك ولو وصلت لحاجة كلمني
- بإذن الله
- سلام
- و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته
لم تمر سوي عشرون دقيقة حتي وصلت لمحل الأحداث
فيلا عدلي سميح
لا أعرف كيف ستمر مقابلة حسام لي
ولا أعرف إيضاً ما مصير تلك المَهمة و ما مصيري أنا تحديداً

لكن كل ذلك يمُكن التغلب عليه .. كل ذلك قد يُحل إلا شيء واحد !
كيف سأضع عيني بعين من بدأ قلبي بالنبض لها
منذ بداية دخولي للفيلا لم تلمحها عيني ، طبيعياً أن تختفي و تنطوي علي نفسها بعد ما رأته ليلة البارحة ، منطقياً جداً إيضاً أن توجه إليّ تهمة التقصير الوظيفي ، فأنا المُكلف بحمياتها و بحماية أسرتها
كنت أتحدث إليها و في نفس الوقت قُتل أخوها
تقصير تحت مسمي - أنانية الحب -
أردت معرفة ما يدور ببالها فقتل أخوها ، ليس هناك حظ أعثر من ذلك !
لم أحاول الإختلاط بأي شخص كان إجتناباً لما قد يحدث نتيجة لما رأيته في أخر ثمان و أربعين ساعة !
فأنا حتي الآن ..
لدي ورقة صممت علي شكل لعبة الكلمات المتقاطعة .. كتبت بحروف و ألوان غريبين ، لا أفهم منهما شيء
زميل عمل إحصائياً .. من أكثر خمس كائنات لزوجة علي مستوي المجرة !
و من جانب آخر ..
حبيبة قتل أخاها أمام أعينها
طفل كُلفت بحمياته فقتل
علي أقل تقدير وفقاً للمعيطات إن لم يتم فصلي فسوف يتم نقلي إلي إدارة أخري أو إلي إقليم آخر
لولا عبادتي لله وحده و إيماني بوحدانيته و قضائه و قدرة لكنت أجزمت أن آلهة الحظ غاضبة عليّ لعدم تقديم قرابين هذا الشهر لها !
كم أحتاج لحالة السلام الداخلي تلك ..
حتي و إن رحل ذاك اللزج دون التفوه بأي كلمة فلن يفي ذلك بالغرض
الآن بدأت فقط في إعادة النظر في عادتي اليومية بالدعاء لوالدي ..
أحقاً وجب عليّ الدعاء له أم الإكتفاء بالصمت و عدم الدعاء بعقاب ربي له علي فعلته تلك ؟

جريمته التي سأعيش ضحية لها ما دمت حياً أرزق ، أراد أن يضمن لفلذه كبده مستقبلاً و مركزاً إجتماعياً مرموق دون مجهود أو عن إستحقاق
فأصبحت ممن يطلب منهم التحكم بأعصابهم دون تعلم كيفية القيام بهذا
لم تعد حياتي كما خططت لها أثناء فترة دراستي ، أخذت مكان شخص ما
هو الآن يلعن وطنه و كل ما عليه بداية من ذرات التراب في جوهِ حتي رئيسهُ
مروراً بما يسمونه واساطة بكل ما بها من الشخص الذي سَهَل لي و لأمثالي كُل شيء مروراً بي و آخيراً وطنه مرة أخري
مرت علينا ساعات النهار دون أي جديد يُذكر .. سوي قدوم قوة إضافية تحت قيادة اللواء محمود فهمي
لم ينتبه عقلي لأي تفاصيل خاصة به .. حتي إنني لم أنظر لوجهه أثناء حديثه معي ، كل ما أتذكره .. إسمه و قيمته الوظيفية ليس أكثر
وجوده ضرورياً فالأمر لم يعد يسيراً ، قتل أحد المهددون و ليس هناك أي أدلة علي الجاني
لم تعد أعصابي خاضعة لتحكمي ، لا أعرف للثبات و القدرة علي التفكير سبيلاً
لا بد من تواجد تلك القوة الإضافية نهاراً و أخري مثلها ليلاً
قاطع حالة التشتت تلك :
- إنت محتاج ترتاح يا إياد ، تقتدر تتفضل إنت دلوقتي
إنهاردة راحة ليك عشان أعصابك تهدي و تعرف تكمل شغلك بكره
لم أتلاقي أطراف الحديث معه ، عادة حين أصمت ليس تقليل من الشخص المقابل لي ..
إنما لعدم قدرتي علي الحديث أو الإستماع
بعد ما يقرب من الساعة و النصف .. كنت قد وصلت إلي حيث عُلق إسم والدي
حسناً .. اليوم و لأجل غير مُسمي سأفكر كثيراً قبل الدعاء له ، لأنني إن تركت لساني و شأنه علي الأرجح سيدعو عليه و ليس له
... اليوم من الأيام القليلة التي أري فيها منزلي نهاراً – منذ فترة طويلة – فقد

أعتدت علي العودة مساءاً بإستثناء يوم تكليفي بمَهمة الشؤم تلك
حسناً .. يوم بل عدة ساعات حتي ميعاد العودة للجحيم مرة أخري
عليّ إستثمارها بشتي الطرق
بعد فترة طويلة لم أري بها جهاز التلفاز الخاص بنا .. كانت فرصة جيدة للقائه مرة أخري
بعد البحث في عدة قنوات لم أري شيئاً مميز قد يخرجني من حالتي تلك
لا جديد .. لا شيء يرتقي لعرضه لعشرات الملايين
مرت أكثر من ساعة أحاول خلالها البحث عن أي شيء ، أي شيء يرتقي لمستوي عقل شخص في القرن الحادي و العشرين
تلاعب بالعقول ، طرح مبادرات للتحريض ، نشر أفكار و أخلاقيات مسممة ، تعميم فكرة إزدواجية المعايير ، و أخيراً إلصاق أي تهمة علي من يخالف الرأي العام حتي و إن كان مصيباً
شيءياً يُشعر بالغثيان !
حددت أخر ٥ قنوات لأشاهدهم ، إن وجدت ضالتي بهم إستمريت أمام إحداهم و إن لم أجد فالنوم خير سبيلاً
حسناً .. الأولي ، الثانية ، الثالثة ، الرابعة
لا شيء جديد .. لكن هناك شيئاً لفت نظري ..
هناك شخصاً أعرفه جيداً علي شاشة تلك القناة
إنه عمر الخطيب .. صديق والدي
كان يتحدث برفق و لين عن أهمية وجود من يعتنقون غير الإسلام ، من يختلفون كلياً عن كلانا ، فهم شركاء الوطن و الدماء و الهدف
أخذ يصفهم بكل شيء ماهو نبيل ، لم يترك شيئاً إلا و إستشهد به ، آيات قرآنية ، أحاديث نبوية شريفة ، مأثورات عن الصحابة و التابعين ، كل شيء
حتي أن عقلي بدأ يداعبني لأُشهر إعتناقي المسيحية لأحظي بكم الثناء و المدح هذا ، لم ينته عند هذا الحد ، بل أردف بأهمية التعامل و التعايش و الإختلاط بهم ، فمن يجرم التعامل معهم و يمتنع عنهم آثم قلبه

أكمل حديثه بأهمية إحترام آراء الغير حتي و إن كانوا علي الضفة المقابلة لنا
إحترام كل من يختلف عنا دينياً ، سياسياً ، فكرياً أو في أي شيء آخر
بعد حديثه هذا بدأ عقلي أتوماتيكياً بطرح أسباب عدة لإحترامه بعد أن كان الشك يتملكني فيما يخصه
أثناء إستماعي له ، عادت إيمان ..
تملكتها علامات التعجب :
- إياد .. ! إنت مش المفروض دلوقتي في شغلك ؟
عُدت برأسي للخلف ، مُتكئاً علي ما إتخذته مقعداً لي :
- أنا إنهارده أجازة ، يوم واحد بس عشان أعصابي ترتاح شوية
توترت قليلاً ، كعادتها حينما تدرك أني لست كما تحب :
- ترتاح ؟ من إيه ؟
- من مشكلتين
- إيه هما ؟
- واحد من اللي المفروض احميهم اتقتل ، و التانية إنه يبقي أخو البنت إللي أنا بحبها
حينها لم تبدو عليها علامات التعجب فقط ، بل بدأت بالإبتسام إيضاً
تغير صوتها لتلك النغمة التي تصدر عن شخص إمتزج إحساسه بالدهشة بقليل من الإستهزاء :
- بتحبها ؟
أنا مش هسألك إزاي واحد يتقتل و إنت المفروض بتحميه ، ده ممكن يحصل في ثانية
لكن تبقي بتحمي ناس من كام يوم و تحب بنتهم في نفس الكام يوم دول ؟
بعد ذلك السؤال تحولت –مجازاً- من ظابط شرطة مُكلف بتأمين و حراسة أحدهم إلي تلميذ حُصر من مُعلمه فلم يستطع الإجابة علي سؤاله :
- إللي حصل بقي ، من أول ما شوفتها و أنا مش شايف غيرها ولا قادر أبطل تفكير فيها

تركت ما بيدها و جلست جواري ، تجذبني من أذني بعد أن إبتسمت لي ، تعاتبني كأم قلقة علي ولدها :
- مفيش حاجة إسمها إللي حصل ولا من أول ما شوفتها يا إياد
أنا معرفهاش و مشوفتهاش
بس إللي أعرفه إن الحب لما تشوفها أو تشوف صورها تلاقي نفسك بتبتسم و بتضحك لواحدك من غير سبب
لما تلاقي نفسك بتعملها كل حاجة هي محتجاها أو بتحبها من غير ما تستني مقابل و تزعل
أوي لو مفرحتش مش عشان مستكتر عليها تعبك ، بس عشان نفسك تشوف ضحكتها
و إنت السبب فيها
لما تغير عليها من أقرب الناس ليها .. إعرف إنك حبتها
لما تسأل نفسك إنت بتحبها ليه و متلاقيش إجابة إعرف إنك حبتها
لما تشوفها في صورك إنت ، لما تقلد حركاتها و كلامها ، لما تضحك نفس ضحكتها
لما تبص في عينيك في الصور وتشوفها
.. الحب أعمي ملوش عيون
و معني إنك قررت تحب بعنيك يبقي ده مش حب
الحب مش لمكان معين ، حاجة بتحب تشوفها بعينيك
الحب إن كل ما فيك بيعشقها
إنت مابتبحهاش يا إياد .. إنت بتحب تشوفها !
كلماتها تلك فتكت بي كما فتك المارينز بالعراقيون في أبو غرِيب ، ما قالته هو ما ينبغي أن يقال ..
صراحتها .. ما جعلني كالأصم لا أقدر علي شيء سوي التحديق بها و الإنصاط لها
قالتها مجدداً بعد أن ظهر علي صوتها الإستياء :
- إنت من صغرك و إنت متعود اللي يعجبك لازم تاخده بأي طريقة
إياد .. ! إنت مريض بحب التملك ، لو متعالجتش منه هتضيع !

لم أفكر حتي في الإلتفات و لها و الرد عليها ، كيف أكُن مريضاً نفسياً و قد وصلت لتلك المكانة ؟
لو كان إدعائها هذا صحيح ، فكيف تخطيت الإختبار النفسي بالكلية ؟
لا ، ليس صحيح أياُ مما تتدعيه ، لن ألقي لها بالاً
فليس في مقدرتي تحمل مزيداً من الضغوط ، يكفي ما واجهته أمس
لم يبقي من اليوم الكثير حتي أُضيعُه في إستنتاجات طالبة بقسم علم النفس
الوقت المتبقي بالكاد يكفي لحُلم أخير قبل مواجهة المجهول في فيلا عدلي
*****

دقات المُنبِة ، ترانيم الطيور ، أشعة الشمس التي – من دفئها – تداعب بشرتي
كل ما أدركه بحواسي كل صباح .. يذكرني بما وصلنا إليه
بما عليّ أن أتحمله
بأننا تائهين في مجتمع يضاجعنا نفسياً ، فأصبح الوطن ماهو إلا مصحة نفسية كبيرة ، كل إقليم و كل محافظة و كل مدينة ما هي إلا أقسام كبيرة تتشعب منها أقسام أصغر ، و ما الشوارع و الطرقات و المقاهي و النوادي .. إلخ
إلا أماكن للترفيه عن المرضي ، كلاً بما يناسبه
فهناك من يرفع عنه العناء بالعراك و إطلاق السُباب و سب الأديان
و هناك من يدرك أن شفائه في التصنع
علاوة علي من يري أن علاجه في العبث بمن هم – في نظره – أضعف منه كالإناث
و لكن يبقي أخطرهم من يري نفسه كائن ليس كمثله شيء
ففي رأيه يحتل مكانة إله مُصغر ، يترفع عن البشر و يقع أدني من الإله الأوحد ، فهو من لديه القدرة علي الحكم و التحكم علي كافة بني جِنسه دون أن يفرض عليه أحد أي شيء ، و كيف يُفرض عليه شيء وهو يري نفسه بمثابة إله !
كحسام مثلاً
تعددت الأمراض النفسية و النهاية واحدة

وطن يحتاج لعملية زرع بشر من جديد
*****

لم يهدأ عقلي في طريقي لمحل مُجمل الأحداث ، كان كل ما يُفكر به أمران
كيفية إنهاء اليوم دون أي أزمات جديدة
و يارا
لم تلمحُها عيناي مُذ أن وطأت قدماي الفيلا ، حتماً منغلقة علي نفسها داخل غرفتها
حالياً لا أعرف هل جاء مقتل يوسف في صالحي أم ذلك ضدي ؟!
فالأن لابد من تقديم العزاء لها
في طريقي لغرفتها ، إستوقفني الوافد الجديد - محمود فهمي -
من أتي لإنقاذ الموقف يوم قتل يُوسف
شعره الأبيض الكثيف ، عيناه الضيقتان ، أنفه ليس بالصغير ، بشرته .. تلك السمراء المصرية الأصيلة ، جبهته العريضة ، كم االتجاعيد المرعبة
التي تغطي وجهه ، نظراته و قلة حركات عيناه .. ثابتتين عليّ دون أن تتحرك رموشه إضافة إلي توليه المسئولية في ذلك الوقت الحرج
دليل علي أنه ذو خبرة و حُسن إدراة و دراية كبيرة بما يعمل
لم تكتف عيني بهذا القدر ، بل أكملت جولتها علي جسده المحني -نسبياً- بسبب عوامل الهِرم
قصير .. ذكرني بـ - إحترس من كل ما إقترب من الأرض -
- إياد .. صباح الخير
- صباح النور يافندم
إقترب مني أكثر واضعاً يده علي كَتفي ثم بدأ يتكلم ثانيةً
- ركز شوية في شغلك يا إياد ، إللي عرفته إنك وقت الحادثة كنت بتتكلم مع يارا
بادرت بفتح فمي للحديث و شرح الأمر ، قاطعني :

- قبل ما تتكلم ، أنا عارف هتقول إيه ، وفر علي نفسك و عليا الوقت ده حاول تشوف مهمتك إللي جيت عشانها إيه و تركز فيها
بلاش مرضك يبان أوي كده
إحمر وجهي خجلاً ممزوجاً بصمت بعد و لم أقدر علي رفع عيني
ففي تلك اللحظات رأيت كل ملي من الأرض ، من كثرة التحديق بالأرض – خجلاً- كنت أراقب ذرات التراب
عاد ليلقي عليّ الحِمل مجدداً :
- أنا كنت واخد أمر من سيادة اللوا جلال فؤاد أستلم مكانك يوم الحادثة بس لحد ما تفوق من اللي حصل ، خصوصاً إني دي أول مهمة كبيرة ليك دلوقتي دوري خلص .. لكن العساكر هيفضلوا معاك
ياريت تخلي بالك منهم المرة دي ، مش كل شوية هيموتلنا واحد ولا إتنين
أديت له التحية العسكرية :
- تمام يافندم
قالها و رحل ، تاركاً لي إرثاً ثقيلاً ..
لكن كُل هذا له وقته ، أما الآن فله أمراً أخر
سماع صوت يارا مجدداً و لكن الآن تحت مسمي - تقديم واجب العزاء -
إقتربت من غرفتها ، داعبت الباب نقراً بأناملي
- أنسة يارا ! أنا إياد
سَمعتُ صوتها يناديني من الداخل :
- أدخل !
بعد أن وطأت قدماي غرفتها
رأيتها جالسة علي سريرها –مثلها كمثل أي فتاة تحمل ذات الجنسية – تلم حظها الذي جاء بها إلي هنا
رأيتها تنعي أخاها صمتاً .. فأحياناً يزداد الألم ليخرج عن حدود الكلام المألوف
فلا نجد خير تعبير عن ذلك الشعور سوي الصمت
لابد من تخفيف حدة الموقف ، لكني لم أجد سوي الكلام الشائع

- أنسة يارا ! إنتي مؤمنة و إللي حصل ده قضاء و قـ...
قبل أن أكمل جملتي ، قاطعني :
- أنا عارفة الكلام ده و سمعته كتير ، بس إللي مش فهماه ليه القتل بقي سهل عندنا كده ؟
ليه مابقناش نحترم الموت ؟
بدي علي وجهي إبتسامة صفراء خفيفة ثم جاوبتها :
- الناس اللي تعيش و تاكل و تشرب و تنام مع بعض وسط القبور ، رهبة الموت عندها بتختفي
إللي يشمتوا في دم واحد و يبرروا قتله لمجرد إنه مختلف معاهم
الناس إللي تضحك علي واحد شايف الموت بيعينه و بيعافر و بيحاول ينجي نفسه من الموت و هما واخدين الموضوع علي إنه حاجة كوميدية
الناس إللي ممكن تسيب بنت إتهانت في الشارع بعد ما إتعرت و كل همهم كانت لابسه إيه
إللي ممكن يصدقوا تزيّف حقيقة هما شايفنها بعينيهم
مابيبقاش فارق معاهم حد يموت أو لأ ، ناس إحساسها مات
كل أملهم في الحياة نوم و أكل و جنس .. الناس دي أوقات كتير بتثبت حاجة من إتنين يا إما مكنوش يستاهلوا نعمة الإنسانية ، يا إما ربنا خلاهم مثال حي لينا عشان مانبقاش زيهم
رفعت رأسها للسماء بعينين دامعتين يصاحبهما :
- ياااا رب !
في محاولة بائسة لإخراجها من حالتها تلك خطرت ببالي عبارة لعلي أجل شفتها السفلي تتحرك لأعلي معلنة خروجها المؤقت من دائرة الحزن :
- و بعدين يعني مستنية إيه من شعب بيكتب اسم و رقم موبايله في الحمام ؟ شعب نبيه أوي ماشاء الله عليه ، قال يعني و أنا في الحمام في الوضع ده هسيب كل حاجة و أركز في جمال رقمه و ال Nickname بتاعه مثلاً
لم يؤثر ذلك بها .. حتي لم تتحرك عيناها من النظر لسقف غرفتها

كأني لم أنطق بحرف واحد ، أو – حرفياً – هي الآن لا تُدرك أني أجالسها بذات الغرفة
كأي شاب يطمع في قلب أنثوي ، وجدت أن الفرصة سانحة أمامي للبوح لها بمشاعري
صيد في الماء العكر ! لا يوجد أنسب من ذلك
إقتربت أكثر من سريرها ، حتي تكن اللحظة أكثر دفئاً
- يارا ..
ممكن أتكلم معاكي شوية
نظراً لحالتها تلك لم تقدر علي النطق ، فقط هزت رأسها معلنة الموافقة
- يارا ! إنتي تعرفي إيه عن بداية الخلق ؟
رفعت حاجبيها بعد أن رفعت رأسها لي :
- يعني أنا أخويا يبقي مقتول و حضرتك بتقولي تعرفي إيه عن بداية الخلق ؟
- أكيد مش قصدي بس ده تمهيد لموضوع حابب أكلمك فيه
لم أرها بحالتها تلك من قبل ، أجوبتها علي حجم السؤال ليس أكثر ، صوتها و إسلوبها ليسا كما عهدتهما :
- ياريت ندخل في الموضوع علي طول
- حاضر
حركت كرسي من أمام مرآته واضعاً إياه أمام سرير يارا
بدأت بتخفيف حِدة صوتي ، بدا صوتي أرق نسبيا :
- سيدنا آدم لما ربنا خلقه
خلقله ٢٤ ضلع و بعد كده خد ضلع و خلق منه السيدة حواء
يعني مخلوقة منه
ظل رد فعلها السابق علي وجهها كما هو ، لم يتغير :
- مش فاهمة !
نظرت للأرض لثوان ثم رفعت رأسي لها مجدداً :
- كل راجل في الدنيا دي مخلوق ناقص ضلع بيعيش حياته كلها

يدور عليه ، بيدور عليه في شكل واحدة اتخلقت منه
و لما بيلاقيها بيبقي كامل الكمال البشري
٢٤ ضلع زي ما سيدنا ادم اتخلق اول مرة
٢٣ في جسمه و واحد من بره
بعد كل هذا لم تتغير حتي الآن تعبيرات وجهها :
- أنا حقيقي مش فاهمة حاجة
لم يعد أمامي سوي أخر محاولة ، غالباً إن فشلت لن أحظي بفرصة أخري كهذه لفترة ليست بالقصيرة :
- انا زيي زي أي واحد .. ناقص ضلع إتخلق منه واحده
و عشت عمري بدور عليها
دلوقتي بس بقيت كامل
عشان لقيتك
إنتي مني
أنا بحبك !
في الغالب تجمع كل الدم الموجود ببدنها في وجهها في تلك اللحظة !
أصاب وجهها -خجلاً- إحمرار عجيب
تغيرت تعبيرات وجهها فجأة ، عيناها لم تفارقا الأرض ، يداها متشابكتان
رفعت رأسها لتجهض أملاً أخراً لي :
- إياد ..!
أنا مسيحية !
بعد أن قالتها ، لم أعرف ما يجب عليّ فعله الآن
كل ما أعرفه أني أعيش بمجتمع يرفض فكرة الحب
بين أصحاب الديانة الواحدة
فما بالهم بحب بين شخصين يؤمنان بديانتين مختلفتين !
لم أدرك شيئاً إلا و أنا أسحب الكرسي للخلف ، تركت غرفتها ، و الآن حديقة الفيلا خير صديق لي

أمضي بها وقتاً أكثر مما أمضيه بعملي و بيتي
إذا كان عقاب ذرية إبليس الحرق ناراً رُغم أنهم مخلوقين منه
و إذا كانت الملائكة لا تستطع النظر للنور الآلهي -ففي تلك النظرة هلاكهم- مع أنهم مخلوقين من نور
فحتماً شقاء و هلاك البشر مما خلقوا منه .. من الطين
أشخاص مثلنا .. طين كما نحن طين
كُلاً يَشقي و يَهلك مما خلق منه
مرت عدة ساعات دون مشاكل تذكر
لكن المصائب لا تأتي فُرادا !
قبل أن يحين موعد رحيلي ، سمع كل من كان داخل أسوار الفيلا نحيب و صراخ قادمان من مكتب عدلي !
هرول الجميع و لم أفوت الفرصة للحصول علي سباق جري صغير
وصلت أولاُ للمكتب
المشهد كالتالي .. عدلي سميح ملقي أرضاُ تحاوطه شظايا كأساُ زجاجية
و تجاورهم يارا باكية كمن فقد شيئاُ ثميناُ
حسناُ .. هي بالفعل فقدت و لكن ليس شيئاُ إنما والدها هو الثمين في الأمر من النظرة الأولي للمشهد .. عدلي مات مسموماُ !
لحسن الحظ كان حسام قد وصل قبل الحادث بنص ساعة ، فالآن يمكن تحميله ثِقل تلك المصيبة
أَنا لن أتحمل أي شيئاُ أخر ، فقط أستطع موازنة نفسي حتي غرفتي
قبل أن أصل لغرفتي كنت أظن أن بمجرد رؤيتي للسرير سأحضتنه
إلا أن ذاك الشعور كان مؤقتاُ ، أنا الآن أمامه و عقلي يعمل بكامل طاقته
إلا جزء واحد من بين أجزائه لا زال يفكر بجملة - أنا مسيحية -
بحالتي تلك ، إن رآني صبياُ في المهد ، حتماُ سيعرف أن هناك ما يؤرق حياتي
فماذا عن إيمان التي تدرس علم النفس ، تعرف ما أفكر به من حركات عيني ، من صمتي !

وضعت يداها علي كتفي ، ضمت رأسي لصدرها :
- مالك ؟
- عدلي سميح مات مسموم إنهارده
- مش ده اللي عامل فيك كده ! في إيه تاني ؟
تركتها ، مشيت – هرباً – بإتجاه غرفتي لعلي اجد حلاً للهروب من سؤالها كعادة أي أنثي مصرية ، لن يهدأ لها بالاً حتي تصل لعمق الموضوع
أتت مسرعة خلفي لترضي ذلك المخلوق الصغير القابع بداخلها
- هتخبي عليا ؟
أدارت وجهي يميناً محاولاً تفادي سؤالها
لم يقف فضولها عند ذاك الحد ، أمسكت وجهي بيداها الناعمتين و حركت وجهي في إتجاها مغيرة مسار نظري
- يارا ؟
إنت من زمان أكتر حاجة تضايقك لما تحب تاخد حاجة و متعرفش فاكر لما قولتلك إنك مريض بالنرجسية ؟
ساعتها سيبتني و مشيت
قاطعتها سريعاً قبل أن تكمل كلامها :
- إيمان .. ! يارا كانت فرصة ماتتعوضش
إبتسمت إبتسامة ساخرة تخبئ في طياتها مدلولاً أكبر مما يظهر علي وجهها :
- مش كل الفرص ماتتعوضش
في فرص لازم نحمد ربنا انها ماتعوضتش
إنت مكنتش تعرفها كويس ، هي بالنسبالك زي البحر ، من بعيد شكله حلو لكن مش كل إللي بينزله بيطلع منه ، أوقات في ناس بتغرق
مش كل الناس صافيين زي البحر من بعيد ، أغلبهم بيتحولوا لموج بس بعد ما تكون إنت وصلت لمرحلة .. الخروج صعب
ساد الصمت بيننا لثوان ، طرحت سؤالاً محاولاً قلب الطاولة عليها للخروج من موضع المهزوم هذا

- و كمان طلعت مريض بالنرجسية !
غيرت معالم وجهها و جلستها معلنة الجاهزية لمكافئتي بضربة أخري من مجال دراستها :
- إنت قولتلها إنك بتحبها إمتي ؟
بعد ما أخوها إتقتل ؟ ، ده مش مرض ؟ مش أنانية ؟
النرجسية دي إنك تبقي أناني ، مش عايز غير مصلحتك
مفكرتش إحساسها إيه بعد ما أخوها يتقتل ؟
أنا نفسي أفهم بس إنت نجحت إزاي في الإختبار النفسي في الكلية بتاعتك ؟!
تركت الغرفة بعد أن أجهزت علي ، كالعادة لم أقدر علي الصمود أمامها فأخترت الصمت ، في أثناء ذلك وقعت عيناي علي الورقة الغريبة تلك .. لكن لم تمر إلا ثوان عِدة حتي عادت من جديد :
- أنا هقولك إنت نجحت إزاي ، عشان في واحد كان إسمه شريف كان هو السبب في إن مريض زيك يبقي مسئول عن أرواح و مشاعر ناس
إستقيل يا إياد .. إستقيل قبل ما تضيع نفسك و تضيع كتير حواليك
قالت جملتها تلك و غادرت الغرفة ، لم أُوليها أي إهتمام كعادتي
مجرد طالبة لن تتحكم في مصيري أنا !
لن من يتحكم بي الآن تلك الورقة ، يا ليت عيني لم تقع عليها الآن
لن أرتاح حتي أجد حلاً لها !
راحة ذاك الجزء بيد عمر الخطيب !
هو من لديه حُكماً شرعياُ في ما اعاني منه
فوراً أدرت محرك الـTOYOTA متوجهاُ لمن بيده الحل
نظراُ لأن الوقت كان متأخر فلم أجد أحد غيره في عيادته تلك
ضغطتان علي الجرس كانتا كفيلتين بتنبيهه بأن أحدهم قد قدم إليه :
- إياد .. !
إتفضل
- كنت جاي لحضرتك في موضوع مهم

أمسك بيدي ليدخلني لعيادته كنوع من أنواع الضيافة الرخيصة
و بيده الأخري الورقة التي كنت قد أعطيته إياها
- أكيد طبعاُ ، تحت أمرك
بعد أن جلسنا سوياُ
بدأت في سرد مشكلتي ..
- أنا كنت شوفت لحضرتك حلقة كده بتتكلم فيها عن التسامح و التعايش دلوقتي أنا محتاج أطبقه بس مش عارف !
- إيه المشكلة ؟
- أنا حبيت واحدة مسيحية !
في ثوان معدودة تحول وجهه من مرحب بي ، لأخر يلم نفسه علي إمساكه بيدي :
- يعني إنت سيبت كل بنات دينك و ملقتش إلا الكافرة دي !
الآن فقط ظهرت عليّ نفس تعبيرات وجه يارا حينما أخبرتها بما أخبئه بين ضلوعي :
- كافرة ؟!
زاد مستوي صوته فجأة كأني إتهمته في عِرضه !
- أيوه ، و نجسة بنت أنجاس
تركت كرسيه ذاك واقفاُ
- ربنا ياخدك إنت يا شيخ ! ولا شيخ إيه ؟
عارف حتي لو هما كفرة و أنجاس زي ما انت بتقول .. فـ أدينا عارفين أخرهم إيه
المشكلة فيك إنت ، إنت منافق و كداب ، يعني أوسخ و ألعن
إقتربت من الباب :
- المشكلة فيك إنت .. لو بتكرههم أوي كده قول ده علي طول ، متقولش لازم نعيش مع بعض و نحب بعض و نحضن بعض قدام الكاميرا عشان الفلوس و تيجي بينك و بين نفسك تبان علي حقيقتك

إحنا لو عملنا مسابقة في النفاق و الكدب
مصر هتاخد البطولة بإكتساح ، عندنا ٩٠ مليون موهبة ماشاء الله
و في الأخر بنستغرب ليه إحنا وصلنا للمرحلة دي
ده المفروض نستغرب لو بصفاتنا دي إتقدمنا
سارع في الوقوف حتي يلحق بي :
- إياد .. ! ، إستني
لو مش مصدق كلامي ده ، هتصدق حاجة إنت عارفها كويس
الورقة اللي جبتها بنفسك .. إللي لقيتها فوق سريرك
أغلقت الباب بشده كادت تهشم زجاجه و إلتفت إليه حتي أعرف ما وصل إليه من تفسير لتلك الورقة :
- مالها الورقة ؟
- الورقة فيها طلاسم معمولة في كنيسة ، شكل الحروف غريبة
كم سخريتي منه لن يكفيه إبتسامة ، خرجت مني ضحكة ذات صوت مدوي :
- طلاسم ! و كنيسة !
أنا إيه إللي خلاني أقفل الباب و أدخل تاني ، كنت ماشي .. إيه إللي رجعني ؟
أخذت من بين يديه تلك الورقة و تركته مع بعض الألفاظ التي تمس العِرض
في بلادنا الكثيرون لديهم المقدرة علي سلب لقب الكذاب من مُسَيلمة !
رحمك ربي أنك لم تعش في زمننا هذا
، كنت لن تجد شيئاً تستحق عليه ذاك اللقب ، فعلوا كل شيء يمنحهم إياه .
لن أري غرفتي بحالتي تلك ..
قتيلان ، ورقة لا أفهم المغزي منها .. و رجل يدعي الدعوة إلي الله
أحتاج لشيء يجعلني – من شدة فرحتي به – أعرف معني الإغماء
أحتاج لشيء يعدل من حالتي النفسية .. لن يحدث .. أعرف
ليس عدم ثقة بمن هم حولي ، و لكن لأني أحتاج شيئاً فوق قدرات البشر
النيل ليلاً بمراكبه الشراعية و صوت أم كُلثوم قد يفيان بالغرض
لكن كما حَسِبت .. لن يحدث ، لن تتعدل حالتي النفسية أو المزاجية

نغمات من موسيقي ال Metal تعلن عن رنين هاتفي ..
حسام قرر أن يجهدني – نفسياً – أكثر ..
- ألو .. إياد !
بنبرة مشمئزة :
- نعم !
صفة طبيعية في حسام العُصابية إلا الآن ، كان هادئاً تماماً :
- إنت فين ؟ و إزاي تسيب الفيلا في وقت زي ده ؟
- مرهق ! إنت فاهم يعني إيه في مأموريتك يتقتل إتنين ؟
بشيء من التعالي و الكِبَر في صَوتِه :
- حظك بقي .. و لسه حظك هيبقي أوسخ من كده
لم أفهم المغزي من إتصاله ولا من جملته الأخيرة تلك :
- مش فاهمك !
-أنا بس حبيت أتطمن عليك ، لحد دلوقتي مقتول إتنين من اللي المفروض تحميهم ، انا شخصياً لو مكانك هفكر في الاستقالة او ممكن اعمل في نفسي حاجة
- لأ ، متقلقش ..
مش هعمل في نفسي حاجة .. كفاية إللي الناس عاملينه فيها
مش هبقي أنا و هما عليها
أنا مش راجع البيت علي الأقل إنهارده ..
- أنا كنت بتطمن عليك بس
إنتهت المكالمة بيننا .. عُدت لمن خُيّل إلي أنهم سيخرجوني من تلك الحالة المأساوية ...

*****

فجراً ..
كان علي العودة لمحل إقامتي لتبديل ما يَسُتر جسدي

إختياري للوقت مناسب تماماً .. إيمان الآن تعانق سريرها
لن أجد من يلقي علي كَلِمات لائمة أو إستفسارات قد تنخر في صميم وحدتي و معاناتي
علي غير العادة .. باب غرفتها مفتوحاً ، الأنوار مُضائة !
بُقع حذاء علي الأرض ، و داخل تلك البُقع أثار دماء !!
الوضع ليس مطمئناً إطلاقاً
سعيت لغرفتها ، لكن قرار العودة للمنزل لم يكن موفقاً
إيمان ينهمر الدمُ من جسدها كما ينهمر المطر من السماء في عيد الميلاد
إيمان عارية تماماً .. لا يغطي جسدها سوي الدماء
إقتربت أكثر منها بحذر ، ليس خوفاً من شيء إلا أن أري ما هو أبشع !
يكسوها الدم ، أثار أظافر نحتت جسدها ، بضع أجزاء من جلدُها إنتزعت
أسنان إتخذت إمضاءاً لها علي صدرها و رقبتها ، يداها اليسري و أظافرها الثلاث المكسورين و آخرين سالمان
شعرها المنزوع من رأسها يجاورها علي السرير
كدمات في جميع أنحاء جسدها الممزق
إيمان أُغتصبت !
ليست وحدها من إغتصب .. كلنا نغتصب
يومياً ، تلك الحياة البائسة التي تفض غشاء أملنا و تنتهك عِرض عزمنا
كُلنا مُغتصبون
دائماً ما يوصف الرجال بالعذوبية و النساء العذرية
إلا مع حياتنا تلك ، فهي تمثل دور الرجال ، و نحن – ذكوراً و إناثاً - النساء ، و ياليتها عذباء
إيمان ليست الوحيدة التي ماتت مغتصبة .. هناك آلاف يلحقون بها يومياً
ماتوا و هاجرت أرواحهم .. في إنتظار الإشارة الأخيرة لهجرة الجسد
إلتفت لأحضر شيئاً أواري به عوراتها الممزقة تلك
كانت الصدمة لا تقل عما رآته عيني سلفاً

تلك الورقة .. غير المفهومة
التي رآيتها من قبل .. أبعدتها عن غرفتي و حائطها
الآن هي فوق مرآتها .. لم تتغير كثيراً
فقط .. بعض علامات الـX فوق ثلاث أعمدة من الأربعة المتواجدين عليها
لم أنتبه معها كثيراً .. كان كل ما يشغل بالي تكريم إيمان بدفنها و محاولة معرفة من الفاعل

*****

صباحاً ..
بعد أن رحل المفتشون و رجال الطب الشرعي
لم أفعل شيئاً سوي الجلوس في غرفتها المشيءومة تلك .. أفترش الأرض مجاوراً مرآتها مُمسكاً صورتها
فلا أقدر علي الإقتراب من سريرها الذي لن يظمأ أبدا بعد ما إمتص دمائُها
لم تمُر بضع ثوانً حتي سمعت صوت العصافير المُزعجة تلك التي تدل علي أن شخص ما يقف خلف الباب
فتحت الباب ليس لمعرفة من أتي لزيارتي و إنما لإنهاء ذاك الصوت الذي يقطع خلوتي بذكري إيمان
تركت الباب مفتوحاً علي مصرعيه و عدت لوضعي السابق قبل انهاء ازمة الصوت اللعين ذاك
لم أنتبه إلا و أنا أري اللواء محمود فهمي واقفاً بجوار المرءآة محاولاً التخفيف عني ببعض الكلمات
- إياد .. إللي حصل ده بتاع ربنا و إنت ده مش وقت زعل
خلينا نفكر كظباط عشان نعرف نحل المشكلة دي و نجيب علي الأقل حق أختك
إللي حطلك الورقة هو إللي قتل إيمان
إللي دخل بيتك مرة سهل جداً يدخل التانية

لم تقدر عضلات لساني علي الإنقباض و الإنبساط
.. بدأت الدموع تتجمع علي أطراف عيناي
تطلب إذناً بالخروج ..
متفادياً لحظة الإنهيار تلك
بدأت في تحريك اللائي كادا أن يفضحاني
حتي لا تنفجرا دمعاً و حُزناً
إقترب مني محاولاً رفع رأسي لأعلي بعد أن نَكسها دمُ إيمان :
- إياد .. الموضوع ده مش مجرد حادثة
قتل يوسف و عدلي ممكن عشان الناس اللي هددتهم
لكن أختك !
الموضوع زي ما يكون تار ، حد بيخلص حق
حد بيدمرلك كل حاجة حواليك .. شغلك .. أهلك
رفعت عيناي إليه بكل ما بهما من دموع دون أن أنطق بكلمة واحدة
عَلُهُ أن يدرك حالاتي من تعابير وجهي
لكنه لم يكتفي بهذا القدر
جلس علي ركبتيه حتي يصل لمستوي ما بيدي
- لما تفضل تبص علي صورتها كتير و تفضل تعيط ، مش معني كده إنها هترجع
لو الدمع بيرجع حد كنا بكينا طول عمرنا عليه
و بعدين إيه إللي في إيدك التانية دي ؟
في حالتك دي و بتحل كلمات متقاطعة ؟
هذه المرة أنا من رفع رأسي إليه :
- مش لعبة بحلها .. دي لعبها أنا جزء منها
المشكلة إني لا فاهم إيه قوانينها أو شروطها ولا حتي فاهم هي بتتلعب ليه
لم يدم وضعه ذلك كثيراً ، فقد تركني واقفاً علي قدميه بعد أن أخذ مني تلك الورقة
- فهمني بقي إيه حكاية الورقة دي !

لم أُحرك ساكناً ، ظللت حيث أنا ، فقط بدأت بتحريك لساني
- من كام يوم لقيت الورقة دي في أوضتي
فوق سريري
في البداية من شكل الحروف الغريبة دي شكيت إنها حاجة زي عمل مثلاً
بس بعد فترة إكتشفت إن الموضوع مش كده .. أو بمعني أصح حبيت أشوفه بالشكل ده
- إزاي ؟
- دي قصة طويلة
وضع تلك الورقة علي ذاك الجزء الخشبي من مرآة إيمان و علامات الـ X تلك بإتجاهه
و خطي خطوتين نحو كُرسي ليجلس نظراً لأن سِنُه لن يسمح له بالوقوف كثيرا
صمت للحظات ، ظننته فقد وعيه أو تملكه أحد أمراضه
رفعت رأسه له فوجدته ينظر للمرآة تارة و للورقة تارة أخري
علامات الدهشة تملأ وجهه
- في حاجة يافندم ؟
بصوت يملأه الدهشة :
- بص في المراية ب سرعة
الآن فقط فهمت لما ظهرت عليه تلك العلامات تلك الحروف الغريبة بدأت تتضح ، إنعكاس الورقة في المرآة جعل تلك الرموز تبدو واضحة أكثر
عاد للمرآة مجدداُ ، لم يمسك هذه الورقة ، فكل ما بها واضح تماماً من خلال إنعكاسها في المرآة ، إن أمسكها مجدداُ ستظهر له كما رآها سلفاً ، بدأ يتفحص ما إنعكس في المرآة
- إياد .. ! ، دي حروف عربي ، حروف عادية بس مقلوبة
أنا شايف حروف عادية ..
في - ي - ، - و - ، - أ - ، - ك - ، - ت -
دي كلمات مش مجرد حد حاططلك ورقة

في حد بيوصلك رسالة بالورقة دي
لم أفهم كيف توصل لأقواله تلك و التي - يبدو عليه – من طريقة حديثه عنها أنها غير خاضعة للشك
- إنت وصلت للكلام ده إزاي يافندم ؟
تقدم بإتجاهي ممسكاً يداي يجذبني نحوه أمام المرآة ..
كعادتي متسرعاً أمسكت هذه الورقة ، سحبها من يدي واضعاً إياها ثانية علي هذا الجزء الخشبي من المرآة
- حط الورقة قدام المراية ، إقرا المعكوس .. مش الموجود علي الورقة
بدأ ما رآه يتضح لي أنا الآخر !
عدة حروف ، منها ماهو واضح و بَيّن للعين من الوهلة الأولي
و منها من يحتاج علي أقل تقدير عالماً بالخطوط العربية
لكن لما بذاك النمط ؟ لما يوجد حروف واضحة و أخري مبهمة ؟
لما وجدت علامات الـ X تلك فوق ثلاث أعمدة فقط من الأربع الموجودين بالورقة ؟
إقتربت أكثر من المرآة حتي أري بشكل أوضح
الآن أيضاً لا أعرف من أين تكن البداية ؟
رأسيا أم أفقياً ؟
من أعلي أم من أسفل ؟
أثناء ذلك ظل اللواء محمود فهمي محدقاً بالمرآة فقط
قررت عدم الإعتماد عليه أكثر من ذلك ، فمهما بلغت صعوبتها لن يخرج حلها عن الإطار الرأسي أو الإطار الأفقي
الآن ، إن بدأت بالجانب الأفقي !
علي أي شيء سأحصل ؟
بضع حروف لا تعطي معني واضح
من اليمين لليسار
ياء و رمز ما أو ما شابه قريب من حرف العين

ألف ثم ياء أخري !
يعاي ؟ لا تعني شيئاُ حتي في لغات أجنبية
واضعاُ كل الإحتمالات الممكنة ، لن يضر محاولة تجربة من اليسار لليمين
ياعي ؟
كسابقتها ، لا معني لها !
مرت الورقة بإختباري الأفقي ، حان الآن نصيب الرأسي
لكن من أين سأبدأ ؟
من أعلي نقطة منها أم من أسفل حرف بها ؟
إن بدأت من الأسفل من الصف الأول
لن أحصل علي شيء ! فأول حرف فقط هو تراه عيناي بوضوح
بعده لا شيء واضح
ولو من الصف الأخير .. سأحصل علي كلمة كتيا !
لا معني لها هي الأخري
الآن دور البداية من الأعلي
أول ثلاث أحرف من الصف الأول يميناً واضحين لي وضوح الشمس في منتصف أغسطس
لكن ماذا عن الرابع ؟
أول ثلاث حروف - ي - ، - و - ، - س -
أما الرابع فهو لا يمت للغة العربية بِصلة
الآن أمامي يوسـ ..
قررت حينها أستخدام الوجه الحسن لتكنولوجيا الـ Smart phone تقنية الـ Prediction تلك هي من ستفي بالغرض
ما تتوقع ما تكتب ، تقدم لك عدة إقتراحات لما تنوي أن تكتبه قبل أن تكمله
في كل مرة كنت أحاول فيها تركيب عدة حروف للوصول لكلمة مفيدة ، كان الأمر يفشل و يبقي أمامي حروف غير متناسقة تشكل كلمة مبهمة
أما الآن فأمامي ثلاث حروف و رابعهم مجهول

قد تفي تلك التقنية بالمطلوب ، لعلها توضح الحرف الرابع و أحصل علي بداية خط لحل تلك الشفرة
أخرجت هاتفي و تجولت بين جنباته حتي وصلت لإيقونة الملاحظات
فتحتها و بدأت بالنقر علي الأحرف منتظراً الوصول لشيء له معني
بدأت بالنقر علي الحروف تباعاً وفقاً لترتيبها في الورقة
ياء فواو و من ثم سين ..
و كانت الإجابات المقترحة من هاتفي
أربع كلمات تبدأ بالياء و تضم الواو و السين بين طياتها
ألا و هي - يوسوس - ، - يوسي - ، - يوسع -
لكن كل تلك الكلمات لا تمت بصله للحروف التالية بعد الثلاث السابقة السالف ذكرها
الآن دور أخر كلمة تضم تلك الحروف
كانت يوسف !
إسم يوسف ؟
الحرف الرابع فاء ؟
هو فاء لكن النقطة المعهودة تلك التي تعلوه ليست في موقعها الدائم
هي في نصف الحرف !
لكن لم يعود الإسم ؟ لما كُتب يُوسف بالتحديد ؟
حل كل تلك الأسئلة في إكمالي لترتيب الحروف .. حتماً سأحصل علي شيئاً ما ذا معني
كل ذلك و اللواء محمود فهمي لم يقدر علي الوصول لأي شيء
أو هذا ما رأيته من تعبيرات وجهه
الآن ليس مهماً ما هي تعبيرات أو تصوراته عن اللغز
الأهم هو فك شفرة ما يوجد بهذه الورقة لحل لغزها
أكلمت علي نفس الصف ..
الآن أنا أملك كلمة لها معني - يوسف -

بعدها يأتي - ش - ، - و - و حرف أخر ليس له دلالة !
لكن مهلاً
بما أن في كلمة يوسف كانت النقطة التي في الغالب تعلو الحرف وجدت بداخله و هي نقطة واحدة
فبالتالي نفس شكل و لكن بداخله نقطتان
إذاً ففي الغالب يقصد به حرف - القاف -
من أخترع و أوجد علم المنطق و تحليلاته لم يأخذ حقه و نصيبه الكافي من الشهرة في بلادي
فتحية لمن يساهم الآن في إزاحة هماً كبيراً عن صدري
الآن لدي كلمتان !
- يوسف - و - شوق -
علي الأقل تلك كلمات لها دلالة و معني ، فلا يوجد كلمة تنطق - يوسفشوق - فحتماً هما كلمتان
لكن ما علاقة يوسف بالشوق ؟
عثرت علي كلمتين .. لكن الأمر لا يزال مبهماً و معقداً
لم يرد عقلي الوقوف عند ذاك الحد ، وسط كل تلك الإفتراضات ، حتي الآن لم يتوصل من يقف إلي جواري لأي شيء ، بعد كل حرف أدير عيناي إليه لأري أي تفصيله تدل علي توصله لأي شيء ، لا أجد
لا أعرف من منا لواء و من منا أقل رتبة ؟
المثير أنه من لفت نظري لزاوية تفسير لم أكن لأعلم عنها شيئاً
كالمرة السابقة ، لم أُعِره إهتماماً كبيرا ، كل ما يسيطر علي بالي ، فك باقي الشِفرة ما بعد يوسف و شوق
لا أعرف أهذا رمز أم حرف أم رقم .. مبهم و غير واضح
هو علي أحسن تقدير رقم ١ أو ألف دون همزته المعتادة
كحالة ما يليه
هو علي أحسن تقدير راء إن تم تفسيره بالعربية أو حرف L معكوس إن كان

له تفسيراً في لغة الإنجليز
ما بعد ذاك الرمز بالعربية إما - ر - أو - د -
لكن لا يمكن كتابة حرف بطريقتين مختلفتين
كيف يمكن يمكن ان تكتب الراء بطريقة تشبه حرف الـ L و من ثم يكتب بطريقة أخري ؟
إذاً أحدهما راء و الأخر حرف أخر
الأمر يزداد تعقيداً ليس سهولة كما كنت أتمني
ما بعد ذلك فهو غير قابل للشك .. حرف الصاد واضح
و مكرر مرة أخري لكن بينهما ذات الشكل المبهم الذي كتب في بداية الكلمة
لو أن أعتي نظام مخابراتي في العالم حاول فك تلك الشفرة لن يسهل عليه ذلك
الآن أنا لدي
١ أو ا + ر أو L مقلوبة + حرف مبهم + ص + ١ + ص
١ر*ص١ص
ا L *ص ا ص
الحل هنا في محاولة النطق و وزن الكلمات بالأذن كما فعلت حينما أردت معرفة مين ستكن البداية
رأسياً أم أفقياً
من أسفل أم من أعلي
الآن الأولي ليس لها نطق من الأساس
أما الثانية
فالألف واضح ، ترجمة الـ L في العربية هي اللام
إذن فقد حصلت علي - ال -
حرف مبهم في المنتصف و من ثم
صاص
ال * صاص
الآن الأمر سيحتاج لوقت أكبر لحل تلك الشِفرة ليس مجرد الوقوف بجوار

كاهل أمام مرآة هو ما سيحلها
امسكت الورقة بيداي رافعاً إياها من موضعها
في اشارة لإستغنائي عن خدماته - التي لم يقدمها من الأساس – طلبت من اللواء أن يغادر :
- عشان متتعبش معايا يافندم ، لو حضرتك عايز تتفضل أنا معنديش مشكلة
رفع عينه من المرآة و قد ملئهما الإحتقار مما نطق به لساني :
- أنا مقدر الظرف إللي أنت فيه و إنك محتاج ترتاح نفسياً
أنا هحتاج منك الورقة عشان أحاول أحلها ، يمكن يكون فيها أي حاجة تدل علي القاتل
بعد أن تحركت عيناي يميناً و يساراً مفكرة في طلبه ذاك :
- معلش يافندم ، أنا عارف إن ده لازم عشان التحقيقات ، بس دي الحاجة الوحيدة إللي عليها دم إيمان
أي حاجة منها
ولو علي الدم فكل حاجة علي السرير خدوها و البصمات في حاجة ممكن أديها لحضرتك تحل المشكلة دي
نظر لي بإهتمام و قالها بحدة :
- إيه إللي عليه بصمات و خبيته عن المباحث ؟
صمت لثوانٍ يسود الموقف كنت أخرج شيئاً من جيبي ، تلك الورقة القديمة التي رآيتها أول مرة فوق سريري ، التي كانت يوماً لدي عمر الخطيب
أخرجتها و مددت يدي له بها
- هي دي يافندم اللي كنت مخبيها عن المباحث
نظر لما في يدي و للورقة التي بين يديه و وجدت الدهشة طريقا يسيراً لملاحمه
- الإتنين واحد ! القاتل حط ورقتين زي بعض ليه ؟
بعد أن تأكدت أنه ذُهل بما بين يداه إقتربت أكثر منه مطمئناً
- هما الإتنين فعلاً واحد ، بس واحده معمول فوقيها علامات إكس ، في ٣ خانات من الأربعة معمول فوقهم العلامة دي

معرفش معناها إيه ، لكن ده الفرق الوحيد
هز أسه معلناً الموافقة و خفت حدة صوته :
- بكره هاخد منك الورقة دي ، هسيبك مع ذكري إيمان كام ساعة بس ، ده مايمنعش إنك غلطان ، بس إحنا بشر برده
إبتسمت له إبتسامة صفراء كريهة و مددت يدي له لمصافحته حتي يتأكد من إني لا أرغب بوجوده الآن
- شكراً يافندم ، إن شاء الله بكره هجيب الورقة بنفسي لحضرتك
خرج و أغلق الباب تاركاً تلك الورقة تغتصب ما تبقي من عذرية عقلي
عُدتُ للورقة مجدداً لعلي أحصل علي شيئاً ذا قيمة قد يوضح ما توصلت إليه
الآن لدي يوسف .. شوق و ال*صاص
الكلمات التي تضم نفس الحروف ، هي القصاص و الرصاص !
لكن الحرف الناقص اشبه بالراء
إذاً فمن وضع الورقة كان يقصد به الرصاص !
الحرف التالي كان – إن أخذت بمعطيات الكلمة السابقة – فهو - ل -
بما أن الكلمة السابقة كانت تضم الراء إذا فالشكل التالي فالغالب هو - د -
كما هو الحال - للميم - فهي أقرب إلي ذلك ، بالتخمين !
الآن أصبح لدي كلمة أخري ذات معني واضح .. لدم !
يوسف .. شوق الرصاص لدم
هي كذلك حتي الآن
باء و نون و عين
واضحين كوضوح قرص الشمس في تمام الثانية ظهراً
دال و لام و ياء .. هم الحروف التالية
الآن .. بنعدلي
بن عدلي ؟
يوسف .. شوق الرصاص لدم بن عدلي ؟
هل هذا تركيب صحيح للكلمة ؟

حتي الآن لا أفهم معني و مغزي تلك الكلمات ، حتي إن رُتبت بشكلها الحالي ما المعني الذي تؤدي له ؟
أخرجت ورقة و كتبت بها ما توصلت له و بدأت بالصف التالي
الحروف بنسبة كبيرة تعتبر مكررة
أول كلمة هي - عدلي -
ثم - م - و - واو - و شيء إلي حد بعيد يشبه التاء
موت ؟
حرف أخر غامض
الآن لن يسمح لي عقلي بالصبر أكثر من ذلك ... اللابتوب هو الحل !
أعدت تشغيله و جهزته علي محرك البحث جوجل
إلتقط صورة للحرف العجيب ذاك و بحثت عنه
إتضح فيما بعد من نتيجة البحث أنه حرف - الهاء -
موته ؟!
عدلي و موته ؟
الحرفان التاليان كانا - ف - و - ي -
عدلي .. موته .. في !
الآن أعترف إني أمام تلك الشِفرة شخص شديد الغباء أو علي أقل تقدير لست مساوياً لذات درجة ذكاء من كتب تلك الأحرف
مرت ساعتان حتي الآن و لا زلت أجمع شتات أحرف حتي أحصل علي كلمة من هنا أو كلمة من هناك و حتي حينما أصل إلي ما أُرِد ، لا أحصل علي معناً واضح و مباشر
الحرف التالي كان - حاء - ثم - لام - ثم - قاف - كما ظننت بأول صف و من ثم هاء
المُحصلة النهائية .. حَلْقُه
عدلي .. موته .. في .. حَلْقُه ؟
يوسف و عدلي ؟

من كتب تلك الورقة علي عِلم تام بأسرة عدلي و الآن بعد الصف الثاني أيقنت أنه علي عِلم بعدة تفاصيل ، يعرفهم حق المعرفة و يعرف طريقة موتهم
يوسف .. من مات بالرصاص !
عدلي .. من مات مسموماً بعد أن ذاق حَلْقُه شراباً مسموماً
تلك الورقة ليست مجرد لعبة أو طلاسم و سِحر أسود كما قال عمر الخطيب إذ كان هذا نصفها الأول فقط و قد إكتشفت كل ذلك
بالتأكيد ما خفي كان أعظم
التالي كان إيمان !
إستنتاجاً بما وصلت إليه من الصفوف السابقة
إيمان ؟ من كتبها يعرف أختي ؟
ماذا كتب عنها هي الأخري ؟
و ما دخل إيمان بالموضوع ؟ إن كانت الورقة عن عدلي و ولده ؟
الحروف التالية كانت .. - جـ - ، - سـ - ، - مـ - ، - هـ - ، - ا - جسمها ؟!
كسابقته .. الحرف التالي كان غامضاً إلي حد ما
إلتقط له صورة و بحثت عنها ، كانت النتيجة حرف - الكاف - ك ، ف ، ا ، ر ، ه ..
كفارة ؟
جسمها كفارة ؟
و ما أتي بعدها كان - للماضي -
من كتب تلك الورقة يعلم الكثير أيضاً عن إيمان !
يعلم أنها أغتصبت ، لكن ما دخل الماضي بها
و من يعلم بمقتل يوسف و عدلي بتلك الطريقة ثم يذكر لي كيفية موت إيمان ؟
السؤال الأهم الآن ! لما الصفوف الثلاث الأولي من اليمين تم وضع علامات X فوق كلاً منها و تُرك الصف الرابع خالياً ؟
الأمر محير أكثر من ذي قبل

هل من قتل هو من وضع تلك الورقة ؟
هل يعرف الضحايا الثلاث ؟
لم يعد أمامي سوي الصف الرابع ، قد يكمُن به شيء يجاوب أسئلتي تلك

- يـ - ، - ا - ، - ر - ، - ا -
يارا ؟
يارا لم تمت حتي الآن ، ما علاقتها بتلك الورقة ؟
لم تم وضع إسمها هنا مع من قتلوا ؟
بإيدك نهايتك
كانت تلك هي تجميعة الحروف الباقية
ما معني بإيدك نهايتك بعد إسمها ؟
إن سِرت علي مبدأ التخمين فمن المنطقي ، إن إذا كان الأشخاص الذين قتلوا تم وضع علي أسمائهم علامات X أما يارا فلم تمت بعد و لم يتم وضع تلك العلامة فوق إسمها .. إذاً فهي التالية !
يارا ستقتل ؟
لكن إن كان كل شخص قد تم كتابة طريقة قتله ، يوسف بالرصاص وهو قد مات به حقاً ، عدلي كتب في الورقة تلك كيفية موته ، إيمان !
كأن من كتب تلك الورقة يتشفي بإغتصابها بعبارته تلك
- جسمها كفارة للماضي -
الأزمة الآن أن كل شخص كتب بعد إسمه طريقة موته .. إلا يارا !
- بإيدك نهاية مصيرك -
لِمَ لم يكتب طريقة موتها و كتبت تلك العبارة ؟
هل ستتحقق ؟ أنا من سيقتلها ؟
و لم تم تعليق مصيري عليها ؟ علي موتها ؟
لا يوجد وقت الآن للتفكير ، كل دقيقة تمر قد تضيف فرد جديد للقائمة ذات الـ X في أعلاها

الساعة الآن السابعة مساءاً
تحركت بسيارتنا علي سرعة ١٦٠km/h للوصول لفيلا عدلي سميح
في الطريق إتصلت باللواء محمود فهمي .. لأبلغه بما توصلت إليه
بلهفة :
- يافندم ! في مصيبة .. يارا هي اللي عليها الدور
بصوت يتملكه الريبة :
- مصيبة إيه ؟ و دور إيه ؟
إياد .. واضح إنت موت إيمان لسه مأثر عليك
لم تتغير تلك النغمة في صوتي :
- يافندم ، أنا حليت اللغز إللي في الورقة و يارا فعلاً هي إللي عليها الدور
هي إللي هتتقتل
الغريب إن كل واحد إتكتب تحت إسمه طريقة موته ، إلا هي
مكتوب - بإيدك نهاية مصيرك -
لم تتغير نغمة صوته هو الآخر :
- إيه علاقة مصيرك بيها و يعني إيه مصيرك هيتنهي بإيدك ؟
- ده إللي بحاول أفهمه
أنا رايح الفيلا دلوقتي ، ياريت حضرتك تبقي موجود هناك
الموضوع صعب فعلاً و محتاج رأي قيادة كبيرة زيك يافندم
وصلتُ لمسرح الأحداث ، فيلا يملؤها الدم ..
صماء تماماً من أي مظهر يدل علي الحياة
الآن كل ما يشغل بالي هو يارا .. لا أعرف ميعاد لموتها ، لكن إسمها ورد في تلك الورقة بعد من قُتلوا ، فحتماً هي من سترافقهم قريباً
دقائق معدودة و كنت أقف أمام باب الفيلا ، لم أفكر إلي أين الإتجاه الصحيح كان قراري إلي غرفة يارا ..
لكن ذلك لم يكن قراراً حكيماً ، الآن ألعن خاصية زيادة السرعة في السيارات لما لا يمكن أن نسير ببطئ ، كي لا ندرك مساوئ السرعة في الحياة

رأيت ما لم أتمني أن أري ..
يارا تمزق ، تنتهك ، عارية .. كأني أري إيمان أمامي
مقيدة .. حسام يقف خلفها يمسك رقبتها ، كمن ينهي أنفاس قتيل – بفعل ما سيكون - يضربها .. يتحرش بها
ليس لمتعة جنسية فقط يريد إذلالها ..
لم أره يزني بها ، يكفي فقط أن يجبر الإنسان علي شيء يكرهه ليموت و يتحلل داخلياً قبل أن ينتهي العمر الإفتراضي لجسده كاملاً .. نشوة المنتصر علي فريسه ضعيفة ، يترك بصمات أسنانه علي جسدها العاري
يقتلع جلدها بأظافره و ينهي عمر شعرها بعد أن يسحبه من رأسها
يتناوب تكسير أظافرها
يعذبها ، لا يغتصبها
رأيته من بعيد .. ٥ دقائق كاملة ، لا أقدر علي الحراك
لم أري إيمان و هي تنازع الموت
الآن أري يارا في ذات موضع الأولي ، أري جريمتان بشخصيتان مختلفتان بآن واحد
كان جلياً لي ذلك .. عيناه تمتلئ بالمكر و التشفي ، لا أعلم بمن فينا ، أنا أم يارا !
لم أفكر للحظة واحدة ، توقف عقلي عند ردة فعل واحدة
أخرجت سلاحي الناري ، سحبت الجزء العُلوي منه و تقدمت إليه
الآن فقط عرفت قيمة ضبط النفس في تلك المواقف ، قيمة التدريب علي دقة التصويب
كان كل ما يشغل بالي ، تخليصها منه ، لكن ليس بتلك الطريقة
ضغط علي الزناد
في علم النفس هناك أراء تنادي بأن في حالة الغضب أو التشتت لا تتخذ قراراً مصيراً أو تعطي وعوداً .. قد تندم علي ذلك
الآن تيقتنت من ذلك
الرصاصة خرجت بعد تشتت ، لم أحدد هدفها ..

إستقرت بصدر يارا ، ليس وحده
كانت يد حسام تلامسه ، أصابت الرصاصة الإثنان
تركزت عيناي مع نزيف دمائها ، سقوطها أرضاً و هي لا يكسو بدنها سوي الدماء ، تركت ما قتلها يقع أرضاً و إتجهت إليها
أرفع رأسها في محاولة أخيرة بائسة لإسعافها أو علي الأقل سماع أخر كلماتها
لغات العالم أجمع لا تقدر علي وصف إحساس من يسكن القبور ، من يتمنون العودة فقط ليوم واحد
لإصلاح الكثير بعد معرفتهم الحقيقة ..
لا أحد يشعر كم يتمنون الفرار من ظلمة قبورهم المميتة ، لا أحد يقدر علي فهم كم يحتاجون
للتواصل مجدداً مع الناس ..
مهما حاولنا أن نتخيل ذلك الإحساس فلن نقدر علي تصور ما يشعرون به ..
ظلام دامس ، لا مجال حتي للهمس أو التفوه بأي كلمة !
لا جديد لفترات قد تخرج من حساب الزمن !
بالإضافة إلي ما يسببوه لأحبائهم من إنطواء و إكتئاب
عوضاً عن شعورهم بتقييد حريتهم - داخل قبورهم - بشكل لا يستطعيون إليه سبيلا
و الذي لو دُعفت لهم كنوز الدنيا - و أرواحهم لا تزال تتجول داخل أجسادهم -
ليخوضوا تلك التجربة ليوم واحد ما كانوا ليوافقوا
حريتهم تلك التي سُلبت منهم و إلي الأبد الذي لا نعرف متي يحل حتي تنتهي مساوئ عدة
نُرجئها إلي ذلك الأبد !
لا مجال للشعور فقد بدأ في التحلل من كان مسئول عن كومة المشاعر تلك !
فقط يبقي العقل - لفترة أطول قليلاً - حتي يقوم بدوره الغني عن التعريف في تذكير القلب

بكل ما قام به تحت تأثير مُخدر يسمونه الحنين !
يبقي العقل ليأتي كعادته .. بعد فوات الآوان ..
يأتي بعد أن يموت القلب - و الذي مات سلفاً - مراراً و تكراراً - !
أنا الآن كالمدفون في قبره لا حول له ولا قوة
حياتي و ذاكرتي هي الظلام الدامس الذي أتمني الهرب منه ، الآن كل أحرف العالم ..
لا تقدر علي وصف حالتي
أحاول إصلاح الكثير و لكن يكون قد فات آوان الإصلاح
مكثت لفترات أبحث عن جديد فلم أجد .. بدأت بالإنطواء .. الوحدة ، إحساس بأني قد تحولت لكل ما كنت أكرهه ، أرفض فكرة المرض النفسي .. أنا الآن علي حافته ..
سبب لي ذلك شعوراً بأن حريتي
قد سلبها أحدهم ، تماماً كما سلبها ملك الموت من أحد ساكني القبور !
بدأ إحساسي كسجين يولد بداخلي ..
إحساسي بأني لا أستطيع الخروج من ذلك السجن - الذي صنعته بيداي - ولا حتي من ظلماته
و مهما حاول آخرون تسهيل هروبي بتمرير رشاوي لقلبي فلن يجدوا له سبيلا ، مهما حاولوا !
لأنه قد بدأ في التحلل بالرغم من أنه لا يزال ينبض بين جانبيي
و يبقي العامل المشترك بيني - ككائن قريب من الموت - و بين من مات فعلاً .. هو الندم !
لذلك فأنا أكثر بنو آدم قرباً لسكاني القبور ، و حياتي أقرب لحياتهم
فلن أستعجب إن لم أجد يوماً ما يصف حالتي .. فقد سبقني كثيرون
لم ينطق فمي سوي بعبارة واحدة
كررها كثيراً ، كنت أصرخ :
- إنتي ملكي !

كررها فمي أكثر من مرة حتي وصل اللواء محمود فهمي
و برفقته بعض من المجندين ممن سمعوا صوت إطلاق الرصاص
كل شيء يبدو لشخص طبيعي .. أني من قتلها
رفعت رأسي لأجدهم يحاوطون الغرفة ، نظرت مكان ما كانت يارا تقف قبل أن تقتلها يدي
لم أري أحد
قد هرب ، بعد أن أنشغلت أنا بيارا ، لا أثر سوي لدمائه و دمائها
أخر شيء كنت أدركه أني أصرخ بوجهها :
- إنتي ملكي !
و مشهدهم و هم يقفون حولي
أحسست بضربة بأخر رأسي ، و هي كان أخر ما أحسست به !

*****

يساري مكبلة بأصفاد حديدية وضع طرفها الثاني بمقبض سريراً حديدي ، نائم علي سرير لا أعرف ما جاء به إلي هنا ، ما الذي أتي بي في الأساس لمكان لا أعرف عنه شيئاً ، لا أتذكر شيئاً سوي المشهد الأخير ، مشهد سقوط يارا أمامي
بدأت الرؤية تتضح شيئاً فشيئاً .. يرافقني في غرفتي
محمود فهمي !
أخرج إثنان من المجندين كانا يقفان بجانبي
أخرج مفتاحاً من بنطاله و فك قيدي
لم أفهم لما كل ذلك ..
في الأساس لم أقدر علي الكلام ، وددت سؤاله عن وضعي لم يمكني لساني من ذلك
كنت كطفل يتعلم الكلام
لعثمة و نطق لم يصل لمرحلة الكمال
- أنا فين ؟

إقترب مني اللواء المجاور لي ، وضع يده علي أقرب شيء له مني
أمسك يدي بيداه الأثنان حتي يخفف من حدة قلقي
- متقلقش ، إنت بقيت أحسن كتير
كان النطق صعباً عليّ ، هززت رأسي قليلاً فالحركة أيضاً ليست أمراً يسيراً
علم هو بمعاناتي و قرر مساعدتي علي تخطي اللحظة :
- لولا بقعة الدم التانية إللي لقيناها جنبها كان زمانك مستني دورك في الإعدام
أدرت عيناي صوب العلامات التي تركتها الأصفاد علي يدي
قام هو و أمسك مكانها ليدلكهما
- مش معناها إننا حابسينك ، بعد إللي حصل بدأنا نشك يكون حصلك مشكلة نفسية بعد موت إيمان ، واحد من العساكر ضربك بكعب السلاح بعد ما شاف طبنجتك واقعة علي الأرض و في جثة قدامك ، مايعرفش مين إللي قدامه فكان ده الحل
تركني لثوان جلب فيها كرسيه ليجلس جواري ثم أكمل حديثه :
المشكلة يا إياد إنك كلمتني و إنت في الطريق و المسدس عليه بصماتك و في أوضتها مكنش في حد غيرك
لكن إللي رفع الشك عنك شوية إختفاء حسام
دي وردية الحراسة بتاعته إزاي ميبقاش موجود
الأوضة مكنش فيها غير تلاتة بس
إنت و يارا و ....
قاطعته بسرعة ، بلهفة :
- حسام ، انا شوفته ، كان بيحاول يغتصبها
هز رأسه ، قام و أراح ظهري للخلف بعد أن أرتفع عن غير قصد حين قاطعته ، عاد مجدداً ليجلس علي كرسيه :
- ده إللي إتأكدنا منه
إنت هنا بقالك يومين ، العسكري كان غشيم وهو بيضرب ، أُغم عليك حاجات كتير ظهرت في اليومين دول

صمت يجتاح المكان ، ترك كرسيه ليجلس جواري علي السرير :
- إياد .. ! كان في خلافات بينك و بين حسام ؟
لم أقدر علي الرد ، فهززت رأسي أفقياً نافياً
ضم هو شفتاه للأمام و حرك خاصته رأسياً معلناً التفهم :
- إياد .. الكلام إللي هقولهولك أنا عارف إنه صعب لكن لازم تعرفه
البصمات إللي علي جسم إيمان هي نفس البصمات إللي علي جسم يارا
هي هي نفس البصمات إللي علي الكوباية إللي شرب منها عدلي قبل ما يموت
كادت مقلتا عيناي أن يتركا مكانهما من هول ما سمعته أذناي
علمات الضيق ظهرت عليّ ، بدايات دموع بدأت في نحت أثاراً لها علي وجهي
أمسك يدي التي تملأها الإبر و المحاليل الصناعية يهدأ من صدمتي ، إن زاد
الامر عن حده الطبيعي قد يزداد الأمر لإحدي السكتتين
دماغية أو قلبية
او ربما إنهيار عصبي
إقترب مني أكثر و وضع يمناه علي صدري يمشطه بأصابعه حتي تهدأ روحي :
- إيمان مامتش من الإغتصاب ، في الأساس هو مغتصبهاش
هو أفقدها عذريتها بآلة حادة ، كان بينتقم منها مش بيتمتع بيها و ده نفس
إللي حصل مع يارا
إيمان قاومت .. خربشته و قدرت تشيل جزء من جلده تحت ضوافرها
قطع الجلد دي كانت مطابقة لنفس الحمض الوراثي في الشعر إللي لقيناه علي
السرير ، كانت بتقاوم .. شدت شعره
صمت ثوان ، ثم إبتسم :
أختك كانت ذكية .. عرفت إنه مش جاي لمتعة و هيسبها ، فهمت إنه جاي
يقتلها و مهما عملت مش هتعيش
قررت تسيب أثر وراه
شدت شعره ، فصلت جلده تحت ضوافرها
أختك ماتت بشرف حتي لو كانت شرفها في رأي ناس كتير راح بشوية دم

إبستم مجدداً ليعبر لي عن فخره ، يمنحني أملاً وقت الخذلان الكُلي
ليت لحظات السعادة تلد كماً كبيراً من الوقت ، كما تلد أنثي الأرنب عدداً يميزها بين الثدييات
أكمل حديثه لينهك ما تبقي من قدرات عقلي علي الإستيعاب :
في البداية كنا فاهمين إن إللي عمل كده في إيمان مش شخص واحد ، لكن لما حللنا الـ DNA للشعر و الجلد مع بعض لقينا إن الإتنين نتيجتهم واحده
كده شخص واحد هو إللي قتل إيمان
للأسف ، كان مجرد شك بس ، طبعاً زي ما إنت عارف إن الـ DNA إستخدامه في الأساس للنفي
كان نفسنا و إحنا بنستخدمه يطلع فعلاً بينفي ، المشكلة إنه أكد إن البصمتين لشخص واحد ، نفس الـ DNA إللي لقيناه في أوضة إيمان هو هو إللي لقيناه في بقعة الدم علي جسم يارا
لكن الغريب في الموضوع إن الورقة إللي خدتها منك كان عليها أكتر من بصمة .. بالظبط ٣ بصمات
بصمتك و بصمة عمر الخطيب و بصمة الشخص إللي شاكين فـ..
قاطعته ..
- عمر الخطيب ؟ و ده عرفتوه إزاي من غير ما أحكي حاجة !
إبتسم أخري ساخرة كما عهدتها علي وجه حسام :
- إنت متخيل إن في حاجة في البلد دي منعرفهاش ؟
أو فاهم إننا ممكن نسيب واحد يتكلم في الدين إلا بإذننا ؟
بصمة عمر عندنا متسجلة ، معروف أصله
لحظات مرت عليّ شعرت أني لست بوطناً ولا من حولي أناس طبيعين ، هل تلك الضربة من ذاك المجند لا تزال تؤثر عليّ ؟
- ده منافق ! بيكدب ، بيوصل الدين غلط ، بيستغل تعب نبي و أجيال من بعده و فكر إلهي عشان ينفذ تعليمات ؟!
لم تغب تلك الإبتسامة عن وجهه :

- دي حاجة فرعية ، مش موضوعنا دلوقتي
خلينا نفكر في السبب إللي خلي حسام يعمل كل ده
دون تردد ، أجبت بكلمة واحده لها عِدة معانٍ بالنسبة لي :
- إيمان !
لم يفهم ما السر وراء الإسم ، في الأساس هو لم يدرك لما نطقت إسمها و لم أنطق شيئاً بعده
- إيه علاقة إيمان بحسام ؟
تنقلت عيناي بين أرجاء الغرفة حيث لا مجال للحديث ، كل شيء يتوقف عندها أخرجت زفيراً بعد تنهيدة طويلة يماثل تأثيرها الدموع :
- حسام كان عايز إيمان ، كان عايز يتجوزها .. بابا رفض
دي كل علاقتنا بحسام
صمت قليلاً ثم عاد لكرسيه مرة أخري ، أمال صدره للأمام قليلاً ، إتكأ بمرفقيه علي ركبتيه ، خبأ وجهه بملابسه بعد أن تظاهر أنه ينظفها من شيئاً ما عالق بها ، هيئة جسده تدل علي أنه سيروي حدثاً لا يُرد لأعيننا أن تتلاقي فحتماً هو أمراً عصيباً :
- مش دي كل الحقيقة يا إياد
البداية مش من طلبه لإيد إيمان ، في حاجات كتير حصلت قبلها
ممكن تكون هي دي السبب
كنت سأقاطعه متسائلاً عن تلك الأحداث ، قاطعني هو بتحركه بعد أن جعل جسده في وضع جلوس صحيح و صحي
- من كام سنة .. قبل ما سيادة اللوا يتحال علي المعاش حسام كان لسه ظابط صغير و الحماس كان واخدة زيك كده
في مرة جالي و طلب نحقق مع والدك بتهم فساد و رشاوي
و تقاعس عن أداء المهام الوظيفية
كنت ساعتها لسه عميد و طبعاً ماينفعش أفكر بس أتهم رتبة أعلي مني مش أبقي سبب في تحويله للتحقيق

أوقفته في تلك اللحظة ، وددت وقتها لو أن ضربة ذلك المجند كانت أقوي لتنهي عمري أو أن تكن تلك الضربة في أم رأسي فأفقد الذاكرة بدلاً من كل ما ينهال عليّ من كل إتجاه
لم أستطع في البداية إيقافه بالكلام ، فقط أشرت إليه بإيدي بأن .. لا
كلامك غير منطقي .. تنشقت شهيقاً أخراً ثم أخرجت عدة كلامات بمعاناة :
- إنت متأكد من كلامك ده ؟
قام بهز رأسه رأسياً مرة أخري بعد أن أغمض عيناه قليلاً ، يُرد أن يخرج ما بداخلي من صبر ، حتي يكمل ، تلك الإيمائة التي تعني أوافقك في رد فعلك الآن لكن أستعد لما هو آت :
- إياد .. الملفات كلها كانت بين إيديا بس للأسف معرفتش أعمل أي حاجة عشان كنت لسه رتبة أقل من والدك
طبعاً هتسأل إيه علاقتك إنت بمشاكل بين والدك و حسام أو بمعني أصح إيه اللي حصل خلي المشاكل توصل لإن حسام يعمل كده !
بحالتي تلك كما العادة لم أقدر علي الإجابة ، هززت رأسي موافقاً لتسائله فأكمل هو :
- حسام كان في إيديه أدلة فساد و تورط والدك في قضية آثار كبيرة بعد ما جالي و قولتله إننا ماينفعش نعمل أي حاجة لرتبة أعلي مننا غلط غلطة عمره و اللي بسببها انت واقع في المشكلة دي
حسام هدد والدك إنه هيفضحه ، الطبيعي إن أي شخص في مركز سيادة اللوا هيرفض التهديد ، لكن التصرف ماكنش طبيعي
بعد ما والدك الله يرحمه إتفصل .. مسكتش ، إزاي ملازم يبقي سبب في فضيحته و فصله من شغله
فاكر من ٥ سنين تقريباً ؟
كان في حادثة كبيرة أوي في الصعيد ، أسرة كاملة إتقلت و إتمثل بجثثهم
رفعت رأسي له حتي أسأله عن مدي صحة روايته ، قاطعني كعادته :
- للأسف ، أيوه يا إياد هو السبب أو خلينا نقولها بشكل أحسن

هو إللي خطط ليها
- و طبعاً حسام قرر ينتقم مني أنا ؟
- بالظبط كده ، عشان كده هو إللي سهل دخول ورقك للوزير شخصياً و طلب يقابلني لما عرف إن الوزير حَوِل الإختيار ليا أنا و جلال مأمور القسم بتاعك و ساعتها طلب إنك تبقي معاه في المأمورية دي
كان دايما عايزك قدامه عشان يعرف ينتقم
دنا حاجباي لعيناي ، فُتح فمي ، في الأساس دوماً ما كنت لأرتاح له ، لكن لم يخطر ببالي أن تصل الأمور لما هي عليه الآن
كل ما يراوض عقلي ، لما إيمان :
- إيه دخل إيمان بكل ده ؟
- حسام نفسياً إتغير ، بقي مصاب بالسيكوباتية
أو بأسمها اللاتيني Psychopath
حادثة حصلتله غيرته ١٨٠ درجة
من بعدها بقي عايش عشان ينتقم ، إيمان كانت من ضمن الخطة
- سيكوباتية ؟ يعني إيه ؟
داعب رئتاه بنفساً طويلاً ثم أكمل :
- دي حاجة كده أقرب للسادية ، حب تعذيب الناس ، متعة إنك تشوف ضحيتك بتتعذب قدامك
- إزاي عرفت الحاجات دي ؟
إبتسم و رفع رأسه قليلاً واثقاً بذاته :
- أنا كنت من لجنة الإختبار النفسي في الكلية ، لكن طبعاً بما إن والدك كان لوا فإنت معرفتنيش إلا من الشغل ، معدتش علي الإختبار النفسي
ترك مقعده متجهاً لنافذة الغرفة ، نظر منها و أكمل حديثه :
- السيكوباتية ممكن تحصل لأي شخص ، لكن بعد كارثة أو أزمة صعب يخرج منها ، ممكن شخص عادي جداً يتحول لشخص سيكوباتي ، حسام أهله كلهم إتقتلوا و إتمثل بجثثهم

بقي عايش حياته كلها عشان ينتقم ليهم مش أكتر
حاول يوصل لإيمان و يقنعها أنه بيحبها و حاول يتقدملها فعلاً ، مش عشان بيحبها ، لأ !
عشان يبقي معاه شخص من صُلب والدك ، لما يأذيه الأذي يطوله
لكن والدك حس بإن في حاجة غلط ، رفض
كان الحل الوحيد إنت
دمرلك كل حاجة .. إيمان !
هو مغتصبهاش لمتعة جنسية ، فض بكارتها بس ، عشان يتمتع بعذابها مش بالإغتصاب في حد ذاته
نفس الفكرة مع يارا
عدلي .. يوسف ، ماتوا في الوقت إللي إنت مسئول فيه ، الوَردية بتاعتك مش بتاعته هو
دمرلك شغلك و الجزء الوحيد إللي باقي من أسرتك
لم يهمني كل ذلك ، أعرف مدي بشاعة و قذارة حسام من علاقتي به ، شغل بالي أمر أخر :
- إزاي ظابط يبقي مريض نفسي ؟
ترك النافذة و إلتفت لي ، كنت أتمني أن أري رد فعل أخر غير إبتسامته الساخرة التي لا تفارق وجهه تلك :
ممكن رئيس جمهورية يبقي مريض نفسي ! ، هتلر كان مريض ، معظم حكام أوروبا في العصور الوسطي مرضي نفسيين
في الأصل لو في قانون في البلد ماكنتش إنت هتبقي هنا دلوقتي لإنك ماكنتش هتدخل كلية الشرطة
لكن والدك لوا ..
- طيب لو عايز ينتقم مني ، كان قتلني أنا ، و بعدين إزاي واحد زي حسام يعمل كل ده ؟
- مفكرش يقتلك ، لسبب واحد

أحسن طريقة تقتل بيها أي حد من غير ما تنزل منه نقطة دم واحدة
إنك تاخد منه أكتر ناس بيحبها ، ده غير إن حسام من أذكي الناس إللي في الوزارة السيكوباتي شخص ذكي جداً ، مش زي ما ناس كتير فاهمة إنه عشان مريض نفسي يبقي غبي ، بالعكس
شوف الورقة اللي حطهالك ، طريقة موت كل شخصية
إزاي خلاك تفكر إن الورقة دي إما طفل هو إللي كتبها من طريقة كتابتها أو عمل سُفلي مش دليل علي قتل ٤ أشخاص
حسام فيه كل صفات السيكوباتية
إهتمامه بنفسه ، ذكائه ، حادثة حصلت غيرته ، ده غير إن ملوش علاقة بحد و قبل كده ده مفيش إهتمام بالجنس عنده ، و ده بان أوي مع يارا و إيمان
- يعني معني كده إن مفيش أي مسئولية عليا أو ضدي ؟
- للأسف لأ ! كل الأدلة ضدك ، إنت إللي ضربت يارا بالرصاص و مفيش أثر لصاحب بقعة الدم التانية ، حتي شاهدتك بإنك شوفت حسام مش كفاية لإنك المتهم
الورقة إللي كان فيها أسامي إللي إتقتلوا كانت قدامك و طريقة موتهم و معرفتش توصل لحاجة غير متأخر ، و ده تقصير في أداء المهام الوظيفية
قضية تانية !
حسام لعبها صح يا إياد !
للأسف .. القانون لا يحمي المغفلون
أسقطت رأسي علي صدري ، كان ينطق لسان حالي بأن :
الحياة .. لا تحمي الطيبون !
إقترب مني ، وضع الأصفاد الحديدية بيدي مجدداً ، إبتعد عن سريري ، كان أقرب لباب الغرفة ، كان يعرف الحقيقة ، واثقاً بي ، يدرك تماماً ما أشعر به ، لكن في بلادي لا يعترفون بشيء إسمه شعور .. أوجاع ، دموع أهل أو إحساس من فقد عزيزاً
لا مكاناً للمشاعر هنا

يضعون – في قضياهم – روح القانون لتخفيف آلامهم ، ثم يُلغي بداعي العدل و تعصيب عيناي إمرأة الميزان تلك لكن في أوجاعنا نحن فقط
ضم معصماه لبعضهما و نظر لي في إستحياء :
- للأسف يا إياد ، مفيش دليل واحد ضد حسام ، حتي لو إنت كنت شوفته فعلاً ده مش دليل ، لأنك المتهم دلوقتي
كل حاجة ضدك ، لحسن حظك إن التحقيق لسه شغال بسبب البقعة التانية
صمت ثوان ، لا جديد لديه ليقوله ، يحاول تخفيف ما بي ، لكن بأي شيء ؟ :
- إدعي
قالها و تركني في الغرفة وحيداً
تركني أندب حظاً جعل من أبي ظابطاً و من وطني منبع فساد و من زميل مريضاً نفسياً
الحل الآن إما موتٌ سريع أحدد أنا ميعاده و طريقه تناسب مِزاجي أما بيد شخص تربطته بملك الموت صِلة رحم وثيقة
الإثنان يتلقيان ما يبقيهما علي قيد الحياة من قبض الأرواح
أحدهم يتلقي مالاً و الآخر يكسب حسنات
لكن إنتحاراً سيكن أمراً شيق أكثر ..
أن أنهي حياتي بطريقة تناسبني أنا ليس ملك الموت أو نسيبه
لدي عدة خيارات ، قطع شرايين .. جرعة زائدة من مخد ما
أو أن أصدم رأسي بقطعة الحديد تلك فأموت نازفاً
أو أن أنتحر إجتماعياً .. و هذا ليس به أي مجال للتحريم
مرت ساعة حتي تركني محمود فهمي ، لا أعرف حسن حظ هذا أم ترتيب قدر سخيف ؟
أحدهم قدم لي إختياراً أخر لم يكن ضمن قائمتي للإنتحار
قتلاً بالرصاص ، إعداماً إن دق التعبير
كما رآيته أخر مرة ، عيناه تمتلأن كراهية و تشفي
إبتسامتة ساخرة و نذير شؤم

أخرج سلاحاً نارياً كما أخرجته من قبل لأقتله
سحب الجزء العُلوي كما فعلت
ضغطة علي الزناد
أري الرصاصة تخرج من فوهة المسدس
لم تكمل خمس ثوان في طريقها إليّ ، إستقرت بجسدي كما إستقرت من قبل بجسد يوسف ، يارا
فطرت قلبي نصفين ، لم أدرك بعدها شيئاً واحداً
حسام و هو يغمز لي بعيناه
تحدي ، يثبت لي فشلي ، و قوته
إنتصاره ، و موتي
الآن فقط علمت أن كل القصص التي تنتهي بهزيمة قوي الشر و إنتصار البطل الخيّر ما هي إلا تزيف للحقائق أو أن مؤلف تلك القصص كان علي علاقة وثيقة بالهيروين
أو أن في بلادهم ذلك صحيحاً و نحن لأننا أصحاب أكثر من سبعة آلاف سنة من الحضارة فالأمر مختلف جذرياً عنهم
حياتي حتماً ستدرس كعبرة لمن أراد أن يبقي بوطنه خاضعاً لتعليمات من هم أكبر منه علي الأقل سأصبح مفيداً بشيئاً ما حتي و إن إختلف القالب الذي يقدم فيه الفائدة
.... صباحاً
أيقظتني إيمان ، كانت تَدَعي أن الساعة وصلت للثامنة
تحاول إيقاظي بشتي الطرق ، قُبلة مرة و الصريخ بإذني مرة أخري
تركت السرير مفزوعاً
كانت تقول أشيائاً لا أفهمها :
- حسام إتصل بيك أكتر من مرة ، ماينفعش تتأخر علي شغلك !
ليس هذا ما يقلقني ، أكثر ما يهرق عقلي من التفكير الآن أن قد حلمت بطريقة وفاة أبي و تحققت ، أمي و رأيتها تموت أمام عيناي بتلك الطريقة التي

حلمت بها
أحلامي تتحقق ! يا ليت الرصاصة كانت حقيقة و ليس حلم
حدوث البلاء أهون كثيراً من إنتظار حدوثه و أنا علي علم بكل تفصيله به
سأعيشه ثانية !!

بتكتب روايات .. قصص .. شعر أو مقالات
بتكتب عربي أو انجلش ..
أو حتي بترسم .. تواصل معانا و هنساعدك
تلاقي مكان لابداعاتك

تواصل معنا:-
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
website : www.fasla.org
E-mail :- Fasla.Pub@Gmail.com
Facebook.Com/Fasla.Pub